الفصل الثانى

obeikandl.com

الفصل الثانى

مصر فى ظل الحكم البيزنطى
(٣٠٦ م - ٦٤١ م)

أولا : النظام السياسى فى مصر البيزنطية

ثانيا : النظم الادارية والمالية فى مصر البيزنطية

أ - النظم الادارية ب - النظم المالية

ثالثا : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر البيزنطية

أ - الحياة الاقتصادية ب - الحياة الاجتماعية

رابعا : الحياة الدينية وظهور القومية المصرية

خامسا : التعليم والحياة الثقافية فى مصر البيزنطية

الفصـــل الثاني

مصر في ظل الحكم البيزنطي

قبل الحديث عن مصر في عصر الولاة ربما من المفيد هنا إلقاء الضوء بإيجاز على أحوال مصر في العصر البيزنطي وذلك من أجل إيضاح الظروف آلتي مهدت البلاد لتقبل الفتح العربي الإسلامي دون مقاومة تذكر .

بالإضافة إلى هذا فان تلك الفترة تمثل أهمية بالغة في ربط مصر الهيلينية بمصر الإسلامية ، حيث كان لهذه العلاقة تأثير على أهل البلاد والذي يتجلى في ظهور الروح القومية والشخصية المصرية والديانة المسيحية في صورة مترابطة [1] .

ومن هنا يهدف هذا الفصل إلى إيضاح أحوال مصر تحت الحكم البيزنطي من خلال المحاور الآتية :

١ – النظام السياسي في مصر البيزنطية .

٢ – النظم الإدارية والمالية في مصر البيزنطية .

٣ – الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر البيزنطية .

٤ – الحياة الدينية وظهور القومية المصرية .

٥ – التعليم والحياة الثقافية في مصر البيزنطية .

وفيما يلي الحديث عن كل محور من هذه المحاور تفصيلا :

---

(١) Matter, (R.m.,) : Hisoire de L'ecole d'Alexandria, Paris (1840), V.1; pp. 321 : 322.

الباز العرينى ، مصر البيزنطية ، النهضة العربية ، القاهرة (١٩٦١ م) ، المقدمة .

أولا : وضع مصر السياسي في الدولة البيزنطية :

تحولت مصر إلى ولاية رومانية بعد أن كانت مملكة مستقلة في عهدي الفراعنة والبطالمة منذ عام (٣٠ قبل الميلاد) وذلك بعد هزيمتها بقيادة ملكتها كليوباترا السابعة وأنطونيوس في موقعة " أكتيوم البحرية (عام ٣١ قبل الميلاد) " أمام الجيوش الرومانية بقيادة أكتافيانوس (١) .

لم تكن هذه المعركة في الواقع إلا مرحلة من مراحل تطور العلاقات المصرية الرومانية حيث أخذت هذه العلاقة بين "بطليموس الثاني (فيلادلفوس) ٢٨٥ - ٢٤٦ قبل الميلاد" وبين "روما" في البداية طابعا اقتصاديا حيث لفت نظر روما قوة اقتصادها ووفرة إنتاجها من القمح حيث كانت مصر وقتئذ أكبر مستودع للقمح فى العالم الهيلينى ، فلم يكد يكمل القرن الثانى قبل الميلاد إلا وتحول ذلك الطابع من العلاقات إلى الوجهة السياسية حيث بدأ التدخل الرومانى فى شئون بطالمة مصر باستغلال المنازعات التى كانت تدور داخل أفراد الأسرة البطلمية التى مزقت دولتهم (٢) .

وأخذ الاهتمام الرومانى بمصر يزداد وذلك منذ العام (١٤٠ قبل الميلاد) حيث أخذت روما فى إرسال الوفود الى مصر لدراسة أحوالها ، ثم مالبثت روما أن كشفت القناع عن نواياها الاستعمارية منذ عهد "بطليموس الثانى عشر (أوليتس الزمار Auae'tes) عام ٨٠ قبل الميلاد" حيث بدأ تدخلها العسكرى بحجة حماية العرش وهى المرحلة التى انتهت بمحاربة روما للملكة كليوباترا بعد أن خشيت من طموحها الزائد ، وهى المرحلة التى حولت مصر من مملكة مستقلة إلى ولاية رومانية (٣) .

حقا تحولت مصر الى ولاية رومانية الا أنها كانت متميزة بين الولايات الأخرى ذلك أن الامبراطور الرومانى " أكتافيانوس أغسطس" قد أدرك أهميتها كمورد ومخزن استراتيجى للغذاء وبصفة خاصة القمح الذى لاغنى عنه للشعب الرومانى هذا من ناحية ومن ناحية أخرى مورد مالى للخزانة الرومانية التى أضحت خاوية بسبب حروبها الاستعمارية هذا بالإضافة الى

---

(١) عبد اللطيف أحمد على ، مصر الإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة (١٩٨٨) ، ص ٨٠ .

(٢) ايدرس بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ترجمة أ . د . عبد اللطيف أحمد على ، القاهرة (١٩٦٨) ، ص ٨٠ .

(٣) عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ، ص ص ١١ : ١٤ ، ص ٢٦ .

إدراكه لموقعها الخطير حيث أنها دولة يسهل الدفاع عنها برا وبحرا فمن يحكمها يمكن له صد أى هجوم وأن يستقل بها عن روما ، هذا الى جانب اشتهار أهل الاسكندرية بالميل للشغب ومناوءة الحكام (١) .

لذلك باشر الامبراطور حكمها وإدارتها بنفسه منذ عام ٢٧ قبل الميلاد وعين لها "وال" من طبقة الفرسان ومنح لقب "وال" Praefectus وهو مسئول مباشرة أمام الامبراطور ، وقد عرف هذا الوالى " بوالى الإسكندرية " وقد حرم على أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى إدارتها أو زيارتها إلا بإذن إمبراطورى خاص ، وظل هذا النظام معمولا به حتى تدهورت أحوال مصر الاقتصادية وفقدت مركزها الخاص (٢) .

وقد تركت الأمور الداخلية لتصرف اليونانيين أصحاب الخبرة حيث ظلت النظم المركزية الموروثة عن الفراعنة قائمة فى الإدارة وذلك تيسيرا للتحكم فى عمليات الرى والزراعة والأمن الداخلى للبلاد (٣) .

كما ظلت الإسكندرية مركزا ثقافيا هيلينيا مستقلا ، تعليميا وجامعة لطلاب العلم من كافة أنحاء العالم حتى غدت المركز العلمي والثقافي للإمبراطورية الرومانية نفسها (٤) .

وكانت الشخصية المصرية الفريدة واضحة داخل الإمبراطورية نفسها خاصة في اعتناقها المسيحية ورفضها عبادة الإمبراطور ، وحتى حين انتشرت المسيحية في ربوع الإمبراطورية الرومانية فقد اختلفت الكنيسة المصرية مع الكنيسة الرومانية في المذهب حيث كان لبطريكيتها أكبر الأثر في المجامع الكنسية وفى تعيين وعزل البطاركة وإقرار النظم والمبادئ الدينية آلتي غدت المنهج الأساسي للعالم المسيحي (٥) .

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الإسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ٨٩ : ٩١ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، المقدمة .

(٢) عبد اللطيف أحمد على ، مصر والإمبراطورية الرومانية (مرجع سابق) ، ص ص ٤٩ – ٥٠ .

(٣) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) Matter, (R.m.,) : Hisoire de L'ecole d'Alexandria, "op,cit", p 333 .

(٥) وليم سليمان قلادة ، المسيحية والإسلام على أرض مصر ، دار الحرية ن القاهرة (١٩٨٦) م ، ص ٧٩ : ٨١ ، ٨٦ .

ثانيا : النظم الإدارية والمالية في مصر البيزنطية :

ويتحدث هذا المبحث عن :

(أ) النظم الإدارية (ب) النظم المالية .

(أ) النظم الإدارية :

برغم خضوع مصر سياسيا للحكم الرومانى المباشر بمقتضى تسوية (عام ٢٧ قبل الميلاد) إلا أن النظم الادارية للبلاد داخليا قد استمرت على سابق عهدها منذ الفراعنة والبطالمة وظلت مركزية الادارة التى استوجبتها طبيعة نهر النيل الذى جعل من النشاط الزراعى هو المورد الأساسى لدخل البلاد حيث ظل الحاكم صاحب الحق الوحيد فى اصدار الأوامر والمراسيم باعتباره نظريا المالك للأراضى الزراعية [١] .

وقد اتبع الرومان هذه المركزية منذ عهد أوكتافيانوس ، باقامة حكومة قوية تم تدعيمها بأكبر عدد من القوات الحربية ، فضلا عن تركيز جميع السلطات للوالى ، الذى اعتبر أيضا القائد الأعلى للجيش والمدير المالى ورئيس الادارة المدنية ، والقاضى يعاونه فى ذلك مجموعة من الموظفين منهم القاضى " اليوريديكوس" ومراقب الحسابات "الأيديوس لوجوس" ومديرى المديريات "استراتيجوس" ، كما تم تقسيم البلاد الى ثلاثة أقسام إدارية لتيسير إدارتها وكانت سلطة المديرين إدارية بحتة (٢) .

وقد حرص أوكتافيانوس على القيام ببعض الاصلاحات التى تضمن السيطرة على النظام الزراعى المصرى بغرض توفير احتياجات روما ذلك بشق الترع والقنوات ذلك الذى أنعش الحالة الاقتصادية لمصر فى عهده (٣) .

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ٥٨ ، ٥٩ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٨٢ .

(٢) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ص ٩٥ : ٩٩ ، الأقاليم الثلاثة هى طيبة (Thebais) ، مصر الوسطى (الأقاليم السبعة والاقليم الأرسينوى) ، والدلتا .

(٣) عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية (مرجع سابق) ، ص ٤٦ ، ٤٩ .

وقد ظل هذا الوضع الى عهد "دقليديانوس" (٢٨٤ – ٣٠٥ م) عندما استدعت ظروف اتساع الامبراطورية الرومانية الى أن تقسم الامبراطورية نفسها الى أربعة أقسام وهى (غاليا – وإيطاليا – وإيلليريا – والشرق) ، غدت مصر بذلك تبعا لإقليم (دوقية) الشرق وتم تقسيم مصر الى ثلاثة أقسام وهى (شرق الدلتا ، وغرب الدلتا ، والأسكندرية) ولكل إقليم حاكم الا أن حاكم الاسكندرية كان يتمتع بسلطات أعلى من الآخرين ويحمل لقب والى مصر Praefectus Aegypti وتم ترك السلطة العسكرية للبلاد بيد قائد لقب " بقائد مصر Dux Aegypti "[١] .

بعد عصر دقلديانوس ، شهد عصر تابعه قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧ م) حدثين هامين وهما الاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية للدولة ثم التحول للعاصمة الجديدة مستوطنة بيزنطة اليونانية " مدينة القسطنطينية " على ضفاف البوسفور مما عرف فى التاريخ " باسم الامبراطورية البيزنطية" والتى حولت مصر إسميا من لفظ ولاية رومانية لولاية بيزنطية ، فكان تاريخ مصر البيزنطية منذ عصر قسطنطين حتى عصر الامبراطور هرقل (٦١٠ – ٦٤١ م) والذى فتحت مصر فى عصره على أيدى العرب ٢٠ هـ / ٦٤١ م (٢) .

واستمر هذا النظام الى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الأول البيزنطى الذى عدله فى عام ٣٨٢ م بأن فصل ولاية مصر عن دوقية الشرق وجعلها دوقية مستقلة بذتها يحكمها الوالى الأوجستالى ومقره الاسكندرية كنائب عن الامبراطور وحاكم مطلق للبلاد بيده كل السلطات هذا مع استمرار الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية (٣) .

وتم إلغاء الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية فى القرن الخامس ذلك لحاجة البلاد الى حكومة مركزية موحدة لتسهيل الدفاع عنها فقد أصبح الوالى الأوجستالى حاكما مدنيا وعسكريا فى نفس الوقت وقد تم تطبيق هذا الدمج داخل الأقسام الادارية الثلاثة (٤) .

استمرت القرية أهم وحدة إدارية فى مصر البيزنطية ومحور النظام الادارى المصرى ذلك لأهميتها فى الاشراف على الزراعة وجمع الضرائب ، فكان لها إداراتها الخاصة التى

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية ، (مرجع سابق) ، ص ٤٨ .

(٢) حسنين ربيع ، تاريخ الدولة البيزنطية ، النهضة العربية ، القاهرة (١٩٨٣) ص ١١ ، ١٢ .

(٣) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٣٨ : ٨٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ص ٨٣ : ٨٧ .

يرأسها موظف بلقب (كومارك) يساعده كاتب ، ومجلس من شيوخ القرية للإشراف المحلى ، ولكل عضو فى مجلس الشورى الاشراف على عدد من القرى والذى عُرف بنظام "الباجوس Pagus " وله سلطات الاشراف على الزراعة وتقدير الضرائب ، والقضاء الى أن حل نظم "الباجركات Pagarchia " محل الباجوس الذى يقضى بأن يتولى القرية أحدالأغنياء للاشراف على شئونها المالية يعين من قبل الامبراطور مباشرة (١) .

وذلك الى عهد الامبراطور جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥ م) الذى قام باصلاح النظم الادارية والمالية فى كافة أنحاء الامبراطورية باصداره مرسومه الاصلاحى عام (٥٣٨ م) والذى عرف بمرسوم (١٣) (٢) .

وتتلخص أهم معالم المرسوم (١٣) الادارية الخاصة بمصر فيما يلى :

١ – عودة مصر الى اشراف كونت الشرق ، وزوال شخصية الوالى الأوجستالى المصرى وتحوله لمجرد حاكم إدارى .

٢ – تقسيم مصر الى خمس ولايات وهى (دوقية مصر ، ودوقية أوجستامينكا ، ودوقية أركاديا، ودوقية طيبة ، ودوقية ليبيا) .

٣ – تقسيم الدوقيات السابقة الى أبروشيات تحتوى كل منها على وحدات صغيرة باسم " باجركات " تضم المدن والقرى والضياع المصرية (٣) .

وبذا أصبحت الوظائف الإدارية فى مصر على النحو التالى :

١ – **الدوق** : يختاره الامبراطور على مذهب الدولة الدينى كنائب بيده السلطات المدنية والعسكرية والقضائية وشئون الضرائب وله حق تنظيم الدواوين .

٢ – **رؤساء الابروشيات** : يخضعون للدوق وسلطاتهم محدودة ولكل منهم ديوان صغير يضم عددا من الموظفين يتولون القضاء والجباية وذلك تحت إشراف الدوق .

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٨٥ .

(٢) مصطفى عبد الحميد العبادى وآخرون ، تاريخ مصر القديمة وآثارها العصر اليونانى الرومانى ، القاهرة (١٩٧٨) ، جـ٢ م١ ، ص ٤٥٠ .

(٣) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

أن حق توليته أو عزله بيد الامبراطور نفسه ويعاونه مجموعة من الجباة والمراقبين .

٤ – **مديرو المدن والبلديات** :هم ممثلو السلطة العسكرية يشرفون على الخراج وإقامة الحمامات العامة والجسور المدنية وكان يخضع فى الشئون المالية للوالى الأوجستالى فقط(١) .

٥ – **مديرو القرية** : كانوا من الحكوميين ومن أعيانها من يونان ورومان كسلطة تنفيذية لتوفير مؤن الجند وتنظيم الشرطة بها .

واستمرت تلك النظم الادارية بمصر البيزنطية حتى نهاية العصر البيزنطى بدخول العرب البلاد (٢) .

ب – **النظـــم الماليـــة :**

حينما كان لمصر أهمية اقتصادية لتمتعها بثروات تغل للرومان إيرادات ضخمة لذا اهتم الرومان بتنظيم مصر ماليا وذلك بتنظيم كل من :

(أ) الملكيـــة للأراضـــى (ب) الضـــرائب

(أ) تنظيم ملكية الأراضى :

اعتبر الرومان الأراضى على نهج البطالمة – ملكا خاصا للامبراطور والحكام والمعابد والجنود واليونانيين المقيمين بها حيث تم تقسيم الملكية الى ثلاثة أنواع :

١ – **أراضى التاج** : حيث كان الامبراطور يملك جميع الأراضى كضيعة خاصة بالإضافة الى ملكية المحاجر والملاحات وكان يقطع بعض الأراضى للجنود كرواتب لهم مما أظهر فيما بعد الملكيات الخاصة والضياع الكبيرة .

٢ – **أراضى المعابد والكنائس** : تكونت تلك الملكية من هبات الحكام والأفراد ومن الأوقاف ، وقد أخذت هذه الملكية فى التزايد ابتداء من عهد دقليديانوس عام ٣٤٠ م نتيجة قيام الكنائس بشراء المزيد من الأراضى حتى أنه وبحلول القرن السادس اكتسبت صفة قانونية قوية تتيح له امتلاك الأراضى .

٣ – الأملاك الخاصة (٣) .

---

(١) والوالى الأوجستالى هو منصب عرف به والى مصر منذ عام ٣٨٢ م . عندما انفصل عن كونت الشرق ، كنائب يخضع فى حكم مصر مباشرة للامبراطور ، الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٧٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ص ١٦٠ : ١٧٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٩٦ : ١٠١ .

(ب) تنظيم الضـــرائب :

كانت الضرائب البيزنطية قبل مرسوم الامبراطور جستنيان نوعين من حيث الأداء والتحصيل وهما :

١ – **ضرائب عينية :** فرضت على الأراضى الصالحة للزراعة وكانت تقدر تبعا لفيضان النيل وكانت تؤدى بتفاوت من أراضى لأخرى ومن محصول لآخر يجمعها موظفون يعطون دافعيها إيصالات وكانت الحصيلة تقدم للميرة الحربية للجنود (١) .

٢ – **ضرائب نقدية :** تفرض على الأراضى المزروعة بمحاصيل غير الحبوب كضريبة إضافية وعلى ماكان يدفع للمشروعات الزراعية من رى وإقامة الجسور وحفر القنوات بالاضافة على رؤوس الحيوانات وكان أهم مصادر الحصيلة من هذه الضريبة هى " ضريبة الرأس " والتى فرضت على المصريين كافة ماعدا أصحاب حقوق المواطنة Civis من الرومان واليونان وبعض رجال الدين والعلماء والموظفين ، وكان تقديرها يتم بواسطة مندوبين معينين لذلك وكان التقدير يتفاوت من اقليم الى آخر حتى نظم ذلك جستنيان (٢) .

تنظيمات جستنيان وقانون (١٣) :

لم يقم جستنيان بفرض ضرائب جديدة وإنما أدخل بعض الاصلاحات منها :

١ – بالنسبة لنوع الضرائب فقد قسمها الى نوعين :

– **مباشـــرة :** كضريبة الأرض وهى تحصل عينا أو نوعا (تقديرا) ، وضريبة الرأس حيث يسجل الممولون من أصحاب الحرف وقاطنو الشوارع .

– **غير مباشرة :** كالمكوس الجمركية على الواردات وعلى الصادرات ، على القمح والبردى والمنسوجات والفخار فضلا عن الضرائب لصيانة الجسور وحفر الترع وتطهيرها (٣) .

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ص ١٥٢ : ١٥٣ .

(٢) مصطفى عبد المجيد العبادى وآخرون ، تاريخ مصر القديمة وآثارها (مرجع سابق) ، م١ جـ٢ ص ص ٤٥١ : ٤٥٢ .

(٣) نفس المرجع ، م١ جـ٢ ، ص ص ٤٥١ : ٤٥٢ .

٢ – **بالنسبة لتقديرها** : حيث تم التقدير طبقا لطبيعة الأرض وخصوبتها ومساحتها وقدرة الاقليم الانتاجية وذلك طبقا لتقارير البعثات السنوية التى كان يرسلها لذلك (١) .

٣ – **بالنسبة لجبايتها** : اهتم جستنيان بنظم الجباية من حيث تقدير قيمة الضرائب وأوقات الدفع وإيصالات التحصيل حفاظا على مصالح الخزينة وتجنبا لحدوث أى أزمات مالية حيث وضع لذلك قواعد اشتملت على :

– إشراف والى الشرق على جباية الضرائب العينية .

– تقسيم الحصيلة قسمين أحدهما الى الخزانة العامة والثانى الى خزانة الوالى الكبير .

– يعين الوالى عددا من الموظفين لمهام الجباية .

– للدوق حق جمع الضرائب النوعية وإرسالها للخزانة العامة .

– يقوم نواب البلدية من قبل الدوق بجمع الضرائب من المدن المصرية (٢) .

٤ – تنظيم الحسابات : قام جستنيان بانشاء إدارات لحساب ضرائب الأقاليم وعمل الموازنات بين الايرادات والمصروفات ، كما خصص لكل مدينة خزينة يديرها موظف حسابات ، وكان لكل دوق إدارة مالية لحساب الضرائب الخاصة بدوقيته وتقدير ماينفق منها ووجهات الإنفاق وما يخرج كنفقات عامة كالمرتبات والخدمات من مدارس وغيرها (٣) .

اهتم جستنيان فى قراره " بضريبة القمح " حيث عرفت بالميرة أو الشحنة السعيدة لأهميتها حيث فرض عقوبات صارمة على عمال الجباية المخالفين ونقلهم ، وكان الدوق الأوجستالى يشرف بنفسه على جبايتها وعلى تجهيز الأساطيل لنقل القمح الى القسطنطينية (٤) .

وبالرغم من تلك الاصلاحات الا أنها لم تؤد الا الى زيادة الأعباء على المصريين فاضطر الكثير من المصريين الى هجرة اراضيهم فضلا عن أحكام المصادرة والنفى لمن

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٨٢ : ١٨٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ص ١٨٥ : ١٩٣ .

ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ١٨ .

(٣) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ص ١٩٤ : ١٩٩ .

(٤) نفس المرجع ، ص ص ٢٠٢ : ٢١٥ .

لم يدفع وسادت حالة الفقر الشديد بالمصريين وانحصرت الامتيازات والوظائف فى أسر معينة يتوارثونها واضمحلت بذلك السلطة المركزية فى مصر(١) .

لقد أدت هذه السياسة الى تقسيم السلطة بين جميع الحكام وزيادة التنازع بينهم وأصبحت البلاد على شفا الانهيار وفى أمس الحاجة الى التغيير والاصلاح ولعل هذا من أهم الأسباب التى جعلت الشعب المصرى يرحب بالقدوم العربى للخلاص من هذه المعاناة تحت حكم الرومان البيزنطيين (٢) .

من العرض السابق يتضح تمتع مصر بوضع خاص فى الامبراطورية الرومانية البيزنطية وأن نظرة الرومان اليها كانت اقتصادية استغلالية تهدف الى ملىء الخزانة الرومانية بالأموال وكان هذا كله من الأغراض الأساسية من الاصلاحات دون اصلاح البلاد مما هيأ البلاد لتقبل الفتح العربى الاسلامى (٣) .

ثالثا : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر البيزنطية :

ويتناول هذا المبحث :

(أ) الحياة الاقتصادية (ب) الحياة الاجتماعية

(أ) الحياة الاقتصادية :

تمتعت الحياة الاقتصادية فى مصر ببعض الازدهار وذلك بهدف اشباع حاجات الشعب الرومانى وكان أهم الأنشطة الرئيسية الاقتصادية فى مصر هى :

١ - الزراعة ٢ - الصناعة ٣ - التجارة

١ - **الزراعة** : كانت النشاط الأساسى لسكان مصر من حيث عدد السكان المشتغلين بها حيث كانوا يمثلون غالبية السكان هذا الذى استدعى اهتمام الدولة البيزنطية بمشاريع

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٩٩ ، ١ ، ٢ / مصطفى العبادى وآخرون ، تاريخ مصر القديمة (مرجع سابق) ، جـ٢ - م١ ، ص ٤٥٤ .

(٢) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ٢٠٠ .

(٣) سيدة اسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، القاهرة (١٩٦٨) ، ص ١٢ .

الرى وتم تخصيص الأراضى الى أرض المحصول الواحد وأراضى المحاصيل المتعددة وتنوعت الغلات من قمح وبقول وخضروات وفواكه ونخيل وزيتون [١] .

٢ - **الصناعة** : شاهدت الصناعة فى مصر بعض الحركة خاصة فى الأسكندرية واشتهر الاقليم المصرى بعدة صناعات أهمها :

- **البردى** : الذى كان يستخدم فى صناعة الورق ويتم تصديره الى القسطنطينية نفسها فضلا عن استخدامه فى صناعة القوارب وكأطعمة .

- **النسيج** : اشتهرت مصر بصناعته من الكتان والصوف وألحقت بها صناعة الصباغة وكان يعمل بهذه الصناعة العديد من مختلف طبقات الشعب من رجال ونساء وأطفال وحتى الرهبان فى الأديرة وكانت تفرض الضرائب على هذه الصناعة نقدا وعينا .

- **الزجاج والفخار** : اشتهرت صناعتهما فى البلاد ذلك لتوافر خاماتهما وانتشرت مصانع الفخار على طول اقليم وادى النيل .

- صناعات متنوعة مثل العطور والتماثيل والعاج والمصنوعات الخشبية والآلات الموسيقية والجواهر لانتشار المناجم بمصر فضلا عن صناعات الأسكندرية الخاصة كالعقاقير الطبية من الخامات الهندية وأيضا اشتهرت بصناعة السفن لأعمال التجارة (٢) .

٣ - **التجارة** : ازدهرت التجارة الخارجية خاصة فى الأسكندرية لتميزها بكونها ميناء وبصناعتها للسفن التجارية بالاضافة الى اهتمام الرومان بتطهير البحر المتوسط من القراصنة ، وكانت الواردات تأتى من جميع أنحاء العالم القديم وكانت الصادرات المصرية وبخاصة الحاصلات الزراعية ومصنوعاتها تجوب العالم وبخاصة القسطنطينية (٣) .

---

(١) مصطفى عبد الحميد العبادى وآخرون ، تاريخ مصر القديمة (مرجع سابق) ، ص ص ٤٥١ : ٤٥٢ .

(٢) زبيدة محمد عطا ، الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية ، القاهرة (١٩٨٣) ، ص ص ٧٣ : ٧٥ .

(٣) الباز العريتى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٦٣ : ٢٦٦ / زكى على ، الأسكندرية فى عهد البطالمة والرومان ، القاهرة (١٩٧٨) ص ٣٢ .

وقد نشطت أيضا حركة التجارة الداخلية فى أسواق مصر وانتظم التجـار فـى نقابـات وطوائـف تقوم بتسديد المكوس الضريبية المفروضة على السلع (١) .

(ب) الحياة الاجتماعية :

انقسم السكان فى مصر البيزنطية فى هذه الفترة الى عدة فئات وهى :

١ – **اليونانيون** : كانوا أول فئة تمتعت بحق المواطنة Civis وكانوا موجودين بمصر من قبل الاسـكندر وذلـك فـى بلـدة مطوبـس Metopes ، ثـم كونـوا جاليـة كبـيرة بالأسكندرية تمتعت بأعظم الحقوق فى الحكمين البطلمى والرومانى فقد تمتعوا بالإعفاء من ضريبة الرأس ، وتولـوا المنـاصب الكبرى وكونـوا ارسـتقراطية ذات ثروات وضياع ضخمة ، فكـان يتـم تعيين أعضـاء سـناتو الاسـكندرية منهم واستخدمهم الرومان اتدعيـم سياسـتهم فـى التمييز العنصـرى عـن أبنـاء الشعب (٢) .

٢ – **اليهـــود** : هم الفئة الثانية من السكان من حيث مكانة جاليتهم وذلك لوضعهم الاقتصـادى والعلمى بالبلاد وتكوينهم الثروات من التجارة إلا أنهم كانوا ممن فرض عليهم ضريبـة الـرأس ، وفـى عـام ٤١٥م أمـر البطريـرك كـيرلس بطردهـم مـن الاسـكندرية وإغـلاق معـابهم ففقـدوا امتيـازاتهم بالاسـكندرية وتعرضـوا للاضطهاد والقتل (٣) .

٣ – **الأجانب من العلماء والتجار** : اجتذبت الاسكندرية لثرائها ومدارسها ومكتباتها وجامعاتها وكونها ميناء للعديد من العلماء والطلاب والتجـار الأجـانب مـن جميـع أنحـاء العالم القديم من روما وأثيوبيـا والهنـد وبـلاد العـرب ممـا أكسـب الاسـكندرية خاصة طابعا مميزا عن كافة مدن البحر المتوسط (٤) .

٤ – **المصريون** : هم أهل البلد الأصليين أكبر فئة فى عدد السكان جلهم من الزراع والحرفيين

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٤) آمال محمد الروبى ، التاريخ والحضارة الرومانية ، القاهرة (١٩٧٩) ، ص ٣٢ / الباز العرينى ، المرجع السابق، ص ٢٥٢ .

ممن وقع على عاتقهم عبء العمل والضرائب وبالرغم من ذلك فقد حرموا من حق المواطنة مما جعلهم يسرعون باعتناق المسيحية تعبيرا عن إرادتهم ورغبة فى التخلص من صنوف الذل والهوان على يد الرومان وكانوا عالبا ما يلجأون للهرب الى الأديرة تخلصا من أعبائهم (١) .

الحياة الاجتماعية بالاسكندرية :

كانت الاسكندرية نموذجا للمدينة التى احتضنت كافة الأجناس لكونها عاصمة البلاد ، بلغ تعدادها فى القرن السادس الميلادى مايقرب من ستمائة ألف نسمة ، فضلا عن كونها مركزا للتجارة والصناعة وحاضرة العلم والثقافة والأدب ، ومركز إشعاع الديانة المسيحية ، فحوت الموانى والقصور والكنائس والمراكز الترفيهية وبذا غدت الاسكندرية مركزا للقومية والشخصية المصرية التى ظهرت ملامحها فى العصر البيزنطى (٢) .

لقد اشتهر أهلها منذ عهد البطالمة بالثورات والميل للشغب والتمرد على السلطة والإسراع الى المنازعات وعلى الرغم من ميل أهلها للهو والمرح ، فقد تعصب أهلها للمسيحية منذ أن اعتنقوها وكذا تعصبوا للمذهب المسيحى الخاص حتى أصبحت الاسكندرية مسرحا للمعارك الدينية والثقافية (٣) .

لقد حرصت الحكومة البيزنطية على استمالة أهل الاسكندرية بتوفير وسائل التسلية واللهو من مسارح وملاهى ، ومشاركة أهلها احتفالاتهم الدينية والموسيقية ، بالاضافة الى توزيع الأطعمة على أهلها ، فضلا عن العمل على تقوية دعائم الأمن بها خاصة فى عهدى دقلديانوس وجستنيان (٤) .

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٧٨ / وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام على أرض مصر ، (مرجع سابق) ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٤٨ ، ٢٥١ .

(٣) وليم سليم قلادة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٤) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٢٠٥ / آمال الروبى ، التاريخ والحضارة الرومانية (مرجع سابق) ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

وانقسم سكان الاسكندرية الى طبقات :

١ – **الارستقراطية :** تمثلت فى كبار موظفى الدولة من أبناء الأسر المالكة للاقطاعيات التى تكونت غالبها بنظام الحماية حيث تنازل الكثير من الفلاحين عن أراضيهم لهؤلاء الملاك لعدم استطاعتهم تحمل الأعباء الضريبية حيث عمل الفلاحون لديهم كأجراء وكان من هذه الطبقة الولاة وكانت لهم جيوشهم الخاصة وقد بلغ من قوة بعض الأسر أن سكت العملات بأسمائها ، وقد كان لبعض الأسر دور فى مظاهر الحياة الاجتماعية كبناء الكنائس والمستشفيات والأديرة والحمامات (١) .

٢ – **رجال الكنيسة :** كانت لها مكانتها البارزة حيث كان البطريرك سيد الكنيسة يتمتع بنفوذ كبير لمكانته الدينية وثرواته الطائلة من الأراضى والعقارات التى اكتسبها عن طريق التبرعات والهبات للكنيسة أو بنظام الحماية ممن تركوا أراضيهم للكنيسة وفروا للأديرة ، وقد ساهمت تلك الثروات فى اطعام الفقراء من المسيحيين وفى إقراض الدولة أثناء أزماتها (٢) .

٣ – الطبقة المتوسطة : اشتملت على الصناع والحرفيين والتجار وكان لهم دور فى الأنشطة الاقتصادية بالبلاد لتجمعهم فى نقابات لتنظيم أسس التعامل بين أعضائها وبين الحكام ، وكان لهذه النقابات الحق فى الاشراف على تدريب وتعليم وتوظيف أعضائها (٣) .

٤ – **طبقة العامة :** كانت أقل الطبقات وضعا بالعاصمة وإن كانت أفضل حالا من مثيلتها بالريف لحصولها على الطعام والشراب بالمجان ، وأيضا حق مشاهدة المسارح والملاهى (٤).

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ١٤٧ ، ١٧٦ : ١٨٦ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٥٦ .

(٢) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣) زبيدة محمد عطا ، الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٧٤ .

(٤) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ٩ ، ٩٩ .

الحياة الاجتماعية فى الريف :

مثل الفلاح الغالبية العظمى من سكان البلاد فهو دافع الضرائب ومؤدى الخدمات للدولة وقد عانى الفلاح من التعسف الرومانى وخضوعه للسخرة ، لقد فقد حقوقه فى عهد البطالمة مثل تقديم الشكوى من تعسف الحاكم وجباة الضرائب وانقسم أهل الريف الى طبقتين :

١ - **المزارعون الأحرار** : وهم صغار الملاك أو المستأجرين وهم أحرار نظريا رغم أنه كان محظورا عليهم ترك الأرض حفاظا على استمرار الانتاج الزراعى .

٢ - **أقنان الأرض** : وهم يخدمون أصحاب الضياع وكان وضعهم من السوء بحيث أنهم كانوا يباعون مع الأرض المباعة حيث كانوا كالمتاع لأصحاب الأرض .

هؤلاء هم المصريون من أهل الريف الذين تمسكوا بلغتهم القبطية ومذهبهم الدينى ، وهم الذين عانوا من الالتزامات والأعباء المالية وكثيرا ما كانوا يفرون الى الصحارى والى الأديرة للخلاص مما يعانونه وإما ينخرطون فى نظم الحماية (١) .

المرأة فى مصر البيزنطية :

كان للمرأة دور كبير فى المشاركة الاجتماعية حيث حظيت بقدر من التعليم وهناك منهن من حظين بالشهرة من الوثنيات مالعالمة الرياضية " هيباتشيا " إبنة الفيلسوف " ثيون " ، وكذا المرأة المسيحية والتى كانت مندمجة فى الحياة العامة وتشترك فى الأعياد وعرفت بأناقتها وزينتها وأيضا بحفظ واجباتها الأسرية وتمسكها بتعاليم دينها (٢) .

إن هذا التنوع والتعدد فى المجتمع المصرى البيزنطى أدى إلى ظهور الشخصية المصرية الخاصة وكون لها المزاج الخاص الذى سيجعلها أيضا متميزة فى كل دولة تقع مصر تحت حكمها خاصة فى المجالات الثقافية والتربوية .

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ص ١٧٦ : ١٧٨ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ص ١٠٨ : ١١٥ / ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان ، القاهرة (١٩٨٣) ، جـ٢ ص ٧٦٠ / وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٨٠ .

(٢) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٢٦٦ : ٢٦٨ .

Matter, (R.M.), Histoire de L'e cole d'Alexandria, (op, cit) Vil, p 321.

رابعا : الحياة الدينية وظهور القومية المصرية :

لما كانت مصر عبر التاريخ مهبط ومنشأ الديانات الوثنية (عبادة إيزيس وسيرابيس) التى انتشرت خلال العالم الوثنى القديم ودخلت جميع البلدان والعقائد أو ديانات سماوية كاليهودية فمن ثم اعتبرت عاصمتها – الاسكندرية – العاصمة الدينية والثقافية للعالم القديم وقلب العالم الهلينى لذلك حين دخلت المسيحية البلاد فكان لابد من أن تكون لها شخصيتها المستقلة أيضا والمستقلة فى العالم المسيحى (١) .

فالكنيسة المصرية لم تكن مركزا للديانة المسيحية وإنما غدت الحاضنة لوجدان المصريين ورمزا لكرامتهم وحريتهم وإحساسهم بالمساواة ، يعبر من خلالها عن شخصيته وليس عبدا للإمبراطور المقدس سليل الآلهة كما كان ينظر اليه فى روما ، فلما جاءت المسيحية الى مصر بتعاليمها البسيطة عن المساواة والرحمة والبعث والحساب ، وجدت مصر أرض خصبة وحضن حنون احتضنها لتشابهها مع عقيدة المصرى المؤمن بالبعث والحساب ، لذا أقبل عليها المصريون وخاصة أبناء الطبقات الدنيا حيث اعتبروها رمزا للحرية والاستقلال فى غيبة الاستقلال السياسى (٢) .

لقد قامت الكنيسة المصرية باستيعاب مصر شعبا وأرضا ، فضلا عن دورها فى إجلاء ملامح القومية المصرية والشخصية القبطية التى كانت من أهم العوامل التى ساعدت على تقبل واختيار المصريين للحكم العربى بدلا من الرومانى البيزنطى ، كما أنها تلقى الضوء على العوامل التى حولت المصريين عن الوثنية الى المسيحية ثم الى الاسلام فيما بعد ، ومن اللغة اليونانية الى القبطية ثم العربية (٣) .

لما كانت نشأة الكنيسة القبطية قد ارتبطت بالاسكندرية ذات التاريخ الثقافى والفكر الفلسفى ومركز المؤسسات العلمية والثقافية ن فكان لزاما على الكنيسة أن تبحث عن وسيلة قوية للتصدى للفلسفة والتعليم اليونانى الهيلينى ، فسارعت بإنشاء المدرسة التبشيرية المسيحية لتعليم حقائق وفكر الديانة المسيحية وتسلح رجالها بالفلسفة والغلوم اليونانية للدفاع عن مبادئها

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٢ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٧ .

(٢) وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام ، (مرجع سابق) ، ص ٧٩ : ٨١ .

(٣) وليم سليمان قلادة ، (الأقباط وكنيستهم فى مسار التاريخ المصرى) ، إبداع ، ع٢ (١٩٩٤) ، ص ٣ ، ٣٩ / حسين فوزى ، سندباد مصرى ، القاهرة (١٩٥٩) ، ص ١١٧ .

واتخذ بعضهم من الزهد والرهبنة وسيلة للتعبير عن مسيحيتهم (١) .

لقد كان من المتوقع للكنيسة القبطية التى جعلت من نفسها رمزا للحرية والمساواة وشخصية أبناء البلاد أن تصطدم بالحكم الرومانى بعهديه الوثنى والمسيحى الذى يرى أن القهر والالزام أفضل وسائل الحكم ، ومن ثم بدأت الحكومة الرومانية فى اضطهاد المسيحيين وقد اتخذ هذا الاضطهاد عدة صور وهى :

مظاهر الاضطهاد الرومانى للمسيحية :

رغم ما اشتهر به الرومان من تسامح دينى مع الديانات الشعبية والسماوية لأهالى الامبراطورية إلا أنهم قد اضطهدوا المسيحية ومعتنقيها ، مما يؤكد أن العامل السياسى المتمثل فى الرغبة الرومانية للحفاظ على مركزها وسيادتها المطلقة كان وراء هذا الاضطهاد وليس لأسباب دينية وعقائدية (٢) .

ولقد جعلت روما من دعوى خروج المسيحيين عن المبادىء الأخلاقية ومعارضتهم للسياسة العامة للدولة بتقديس تماثيل الامبراطور وتقديم القرابين لها سندا لمعاداتهم ، كما ادعت أن خلواتهم الدينية ماهى إلا تجمعات سرية ضد الحكم فضلا على اتهامهم بشعائر الزواج المحرم والعادات الشاذة وإراقة الدماء فى طقوسهم الدينية عند إقامتها (٣) .

إن هذه الاضطهادات لم تكن مستمرة أو دائمة الشدة فلطالما آواهم إخوانهم الوثنيون كما لم يقم أغلب الحكام بتطبيق العقوبات عليهم ولم يتسم الاضطهاد بالعنف إلا فى أوقات الأزمات والمجاعات وكانت إحداها فى عهد سبتميوس سفيروس Septimus Severus ١٩٣ - ٢١١ م حيث قاد عام ٢٠٢ م موجة اضطهاد ضد الطلاب والمعلمين والمسيحيين بحجة الحفاظ على سلطة روما (٤) .

وبازدياد أعداد المسيحيين فى القرن الثانى وأوائل الثالث ، تزايدت موجة الاضهاد

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ص ١٣٥ ، ١٣٦ / وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٨٢ .

(٢) رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٨٢) ، جـ٢ عصر "قسطنطين" ، ص ١٥٦ .

(٣) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) ذكر ذلك فى أحد فقرات ترتوليان Tertullianus حيث قال " فإذا فاض التير على الأسوار ، أو غاض النيل فلم يبلغ الحقول ، أو حدثت مجاعة أو انتشر ، تتعالى الصيحات على الفور صائحة " فليلق بالمسيحيين إلى الأسود - ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

حتى واجه المسيحيون الموت زمن دكيوس Decius ٢٤٩ - ٢٥١ م الذى أرسل مرسوما بضرورة تقديم المواطنين لشهادة تثبت تقديم القرابين لتمثال الامبراطور ، ومن يمتنع يعذب أو يقتل وهكذا لاقى معظم المسيحيين من صنوف العذاب بينما لجأ بعضهم إلى رشوة الموظفين لتقديم تلك الشهادات (١) .

وهكذا اضطردت حدة الاضطهاد لمعتنقى المسيحية بزيادة أعداد المؤمنين بها وبخاصة المبشرين بها وذلك على عهد دقليديانوس الذى كان يرغب فى التوحيد بين كافة مواطنى الدولة وأن يكون الولاء الوحيد لديانتها وحين أبى ذلك المسيحيون خاصة بعد تحريض القيصر جاليريوس له ضدهم ، فأمر بهدم الكنائس وحرق الكتب الدينية وإعدام كل من يرفض الطاعة والولاء فبذا ازداد عدد الشهداء فى عهده الذى أطلق عليه " عصر الشهداء " واتخذت منه الكنيسة القبطية بداية التقويم القبطى وكذلك ظهر الأدب المسيحى على غرار الأدب السكندرى(٢) .

ولم يتوقف هذا الاضطهاد لمسيحى مصر إلا بعد اعتناق قسطنطين للمسيحية وإعلانه مرسوم ميلان ٣١٣ م الذى نص على السماح الدينى وحرية العقيدة فكانت بداية الجذور التاريخية لحرية الرأى والعقيدة فى التاريخ المصرى (٣) .

وعلى الرغم من الاعتراف الرسمى بالديانة المسيحية إلا أن معاناة المصريين لم تنته حيث جابهوا خطر نعرض الديانة لبعض الهرطقات ذلك لتمسك البعض ببقايا الفكر الوثنى القديم كعادة تحنيط الموتى وكان أهم هذه الهرطقات هى :

١ - الغنوسية **٢ - الأفلاطونية الحديثة**

١ - **الغنوسية** : وتعنى المعرفة أخذت عن اللفظ اليونانى (جنوس) واتخذ أصحابها هذا الاسم تميزا لاهتمامهم بالعقل قبل الايمان عمن اتخذوا الايمان كأساس دينى (٤) .

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص١٥٨ ، ١٥٩ .

Matter, (R.M.), Histoire de L'e cole, (op, cit) Vil, p 314 .

(٣) وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٨٦ ، ٨٩ .

(٤) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ١٧ / أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٤ .

وقد اتخذ منها المصريون محاولة للتعبير عن المسيحية بصورة فلسفية عقلية متصوفة وبرغم نبذ الايمان المسيحى لها إلا أن أتباعها كانوا دائمى الازدياد وذلك مع القرن الثانى الميلادى وكون علماؤها الكثير من المدارس التى ازدهرت على يد فيلسوفها فالنتينوس الاسكندرى مؤسس مدرستها الكبرى وقد ضمت بعض كبار معلمى الكنيسة (كاكليمنص السكندرى) أحد مشاهير علماء المدرسة اللاهوتية (١) .

وقد قاوم المسيحيون المؤمنون الغنوسية بإنشاء مدرسة التبشير المسيحى لتدريس العقيدة والتعاليم المسيحية الحقة ، فضلا عن تعليم الفقه المسيحى لأبنائها (٢) .

٢ - **الافلاطونية الحديثة** : أدى تعمق المسيحيون فى الفلسفة من أجل مواجهة الفلسفات والمذاهب الوثنية الى ظهور الافلاطونية الحديثة التى ولدت بالاسكندرية على يد معلم الفلسفة المسيحى " أمونيوس سكاس " ٢٤٣ م الذى ارتد الى الوثنية وعمل على التوفيق بين تعاليم أفلاطون وتعاليم أرسطو ، وغدت على يده نظاما دينيا (٣) .

وقد اشتهر هذا المذهب على يد "أفلوطين المصرى Photinus ٢٠٥ - ٢٧٠ م " الذى عرف بنقده للمذهب المادى فتتلمذ على العالم " أمونيوس " ولازمه أحد عشر عاما حيث قام بتدوين فكر أستاذه وإنشاء العديد من المدارس لهذا المذهب فى كل من مصر وروما ، واستمرت من بعده حتى نهاية القرن الرابع يتداولها المثقفون .

لقد اتسمت الأفلاطونية الحديثة بالميل الى البحث والتفكير العقلى المحض وهاجم أتباعها المسيحية وخاصة " بورفيربوس " فى كتاباته ، وتعلقوا بالسحر والغيبيات وكان هذا أهم الأسباب التى دعت الى قيام المدرسة التبشيرية المسيحية اللاهوتية لمواجهة تلك البدع (٤) .

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٤ / يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، القاهرة (١٩٥٣) ، ص ٢٥٥ .

(٢) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

(٣) يوسف كرم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ / نجيب بلدى ، تاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها ، القاهرة (١٩٧٨) ، ص ص ٨٠ : ٨٣ ، ٨٧ .

Oleary, (Delacy) How the Greek Science Passed to the Arabs, London, (1952), pp.23 : 24 .

(٤) نجيب بلدى ، المرجع السابق ، ص ص ٧٧ ، ٨٧ .

كنيسة الأسكندرية والجدل حول طبيعة المسيح :

أخذ الجدل شكل جديد فى مصر المسيحية خرج عن نطاق الهرطقات الفلسفية وهو الجدل حول العقيدة نفسها ، وتفسير طبيعة المسيح التى اشتد حولها النزاع المذهبى بين مصر والامبراطورية البيزنطية الذى بدأ داخل الكنيسة المصرية أولا بين أريوس (قس الكنيسة فى القرن الرابع الميلادى) وبين اثناسيوس (أحد أساقفة الاسكندرية) حول العلاقة بين الله والانسان أو مابين الآب وبين الابن الكلمة المتجسدة فقد أنكر أريوس مبدأ المشاركة وألغى صفة الألوهية عن المسيح ، أكد اثناسيوس على ثنائية طبيعة المسيح الإلّهية والبشرية (١) .

ولحسم النزاع عقد بطريك الاسكندرية "اسكندر" ومستشاره "اثناسيوس ٣١٩-٣٢٠ م "

مجمع فى الاسكندرية أدين فيه أريوس وتقرر نفيه وهذا أدى الى ذيوع مذهبه فى أنحاء الامبراطورية (٢) .

انتقل النزاع الى كافة الامبراطورية حول طبيعة السيد المسيح اشتركت فيها الكنائس الكبرى بروما والقسطنطينية والاسكندرية ، كانت الصدارة فيه للكنيسة المصرية ، ذلك لمكانتها الروحية كأقدم وأكبر الكنائس ، وأيضا لنفوذ بطريكها الزعيم الدينى للعالم المسيحى وذلك بحكم (مجمع نيقة ٣٢٥ م) ، فكان لأسقفها أكبر الأثر فى المجامع الكنسية الذى دعم وضوح مظاهر القومية المصرية فى تصدى كنيستها لكنائس الدولة الحاكمة فى روما والقسطنطينية (٣) .

واشتد النزاع بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما الموالية لأريوس حتى أصدر أسقف الاسكندرية كيرلس (٤١٢ : ٤٤٤) قرارا فى مجمع أفسس بنفى بطريك القسطنطينية فظهرت بذلك خطورة الكنيسة المصرية ، اعتبر الأساقفة المصريون كفراعنة جدد أصحاب سلطة مباشرة، وأصبح لبطريكها السلطة الأولى فى الشرق لعقد المجامع الكنسية الاقليمية (٤) .

---

(١) رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة (مرجع سابق) ، جـ٢ ص ١٥٧ .
ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ص ١٦٢ : ١٦٣ .

(٢) رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ : ١٦١ .

(٣) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ص ٥٠ : ٥٧ / ايدرس بل، المرجع السابق ، ص ١٧٢.

(٤) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ص ٦٧ : ٧٦ / وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

وهنا بدأ الباطرة فى التدخل لمواجهة قوة كنيسة الاسكندرية التى أصبحت دولة داخل الدولة ، فعقد مجمع فى خلقدونية Chalcedon ٤٥١م الذى نصر فيه أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، فرد عليه المصريون بإبطال التعامل باللغة اليونانية والرومانية واتخذوا من القبطية بديلا تؤكد انفصالهم عن الكنيسة القسطنطينية ومذهبها ورفضوا الاعتراف بالمجمع الذى أصدر قرارا بعزل بطريكهم ديوسقورس (١) .

وقد أكمل المصريون مظاهر الانفصال بتسمية أنفسهم (أرثوذكس) أى أتباع المذهب الصحيح ، وتسموا أيضا باليعاقبة نسبة الى يعقوب البرادعى أسقف الرها (٢) .

وبذا أصبح للكنيسة المصرية صفة قومية مستقلة حيث عبرت عن الرأى والشخصية المصرية بل وأجبرت الامبراطورية نفسها فى كثير من الأحيان على الخضوع للرأى المصرى فى المجامع الكنسية المصرية (٣) .

وقد حاول بعض الأباطرة استمالة الكنيسة المصرية لصف الامبراطورية فحاول هرقل فى القرن السابع أن يوجد مذهب توفيقى يقضى على الخلاف بين الكنيستين بحيث لاينفى ازدواجية طبيعة المسيح ولكن يؤكد على وحدة المشيئة ، فقام بإرسال البطرك "قيرس " Cyrus لنشر هذا المذهب لمصر ، لكن المصريين رفضوه بشدة واضطر على أثرها بطريك مصر القبطى بنيامين الى الهرب من الاسكندرية تمسكا برفضه حتى أعاده عمرو بن العاص بعد فتح مصر الى منصبه (٤) .

الرهبنة والديرية فى مصر القبطية :

شهدت المسيحية فى مصر ظاهرة فريدة أدت الى تغير طباع كنيستها ، وأصقلت شخصيتها القومية ألا وهى ظاهرة الرهبنة التى استحدثها مسيحيو مصر كنظام للزهد والتنسك وإن كانت أصول هذا النظام ترجع الى عبادة سيرابيس عن الفراعنة والانقطاع لخدمته فى

---

(١) وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام على أرض مصر (مرجع سابق) ، ص ص ٩١ / ايدرس بل ، مصر من الاسكندر (مرجع سابق) ، ص ١٧٢ : ١٧٣ .

(٢) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ / سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ٩ .

(٣) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص١٩٤ / لين بول (ستانلى) ، سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٠) ، ص ٥٢ .

(٤) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص١٩٤ .

معبده بمنف ، كما عرف المصريون أيضا مظاهر التنسك من اليهودية كالعزلة فى جماعة المتأملين فى الالّهيات (١) .

لقد كانت الرهبنة المصرية نظاما شاملا يقوم على التبتل والانعزال للعبادة وللتضحية وقد قامت على يد عدد من الرهبان المصريين الأوائل أمثال "أنطونيوس" و "باخوميوس" و "مكاريوس" الذين أرسوا دعائمها على التسامى الروحانى وإذكاء مشاعر القلب بالايمان وتحريم الملذات وحب العزلة فسكنوا الجبال والغابات والصحارى وعرفوا بالصالحين واتبعهم الكثيرون إما اقتداء أو هربا من السلطة وضرائبها (٢) .

أخذت الرهبنة فى الانتشار منذ القرن الثالث وبخاصة فى الصعيد على يد القديس "بولس الطيب" ٢٨٨م والذى تصدق بأمواله لاقامة الخلوات بالصحراء للاعتزال والصلاة والتأمل واتضحت معالم الرهبنة على يد القديس "أنطون" واضع أسس التنسك وكان قبطى الثقافة واللغة ، أنفق أمواله على تعليم المتنسكين علوم الدين المسيحى وهو أول من بنى أديرة ليحيا فيها المتنسكون حيث علمهم ترتيل الانجيل وقراءته والصيام واستعمل معهم نظام التلمذة، ففتح باب التعليم الدينى لكل الراغبين فانتشرت الرهبنة على يده من وادى النطرون الى كافة الأرجاء فى العالم (٣) .

وبانتصاف القرن الرابع ظهرت الرهبنة الجماعية (الديرية) على يد القديس باخوم الذى عين لكل دير رئيسا لارشاد وتهذيب الرهبان فى جماعات منتظمة (٤) .

وقد انتقلت الرهبنة الى الغرب المسيحى عن طريق القديسين (اثناسيوس وشنودة الإتربى المصرى) وأخذ المسيحيون يلجأون اليها يتعلمون فى الأديرة الزراعة والصناعة ونسخ الكتب كما يلتمسون فيها البركة (٥) .

---

(١) لجنة التاريخ القبطى ، تاريخ الأمة القبطية ، جـ٢ "تاريخ المسيحية فى مصر" ، القاهرة (١٩٢٢) ، ص ٩٥ / الكسندر اسكندر ، تاريخ الكنيسة القبطية ، القاهرة (١٩٦٢) ، جـ١ ، ص ١٢١ .

(٢) زكى شنودة ، موسوعة تاريخ الأقباط ، القاهرة (١٩٦٢) ، جـ١ صص ١٧٨ : ١٩١ / الكسندر اسكندر ، المرجع السابق ، جـ١ ص ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) أسد رستم ،الروم فى سياستهم وحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، لبنان (١٩٥٥) ، جـ١ ، ص ١٠٢ / لجنة التاريخ القبطى ، المرجع السابق ، ص ٩٦ : ١٠٠ .

(٤) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر (مرجع سابق)، ص، ١٦٧، ١٦٨ / زكى شنودة، المرجع السابق، جـ١، ص ١٧٨.

(٥) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

وتمثلت عظمة الديرية بكونها معقل الروح القومية المصرية وملجأ لنجاة الفلاح المصرى المطحون فأحس المصريون أخيرا بوجود من يرعى الفقير والمريض كشنودة الإتربى الذى قدم لهم المؤن ، وكانت الصحراء بمثابة جامعة للراغبين فى دراسة علوم الدين والتصوف وقام المصريون بنشرها فى ربوع العالم (١) .

بالرغم مما قدمته الديرية للمسيحية من أفضال إلا أنها كانت جهة تسوب للأيدى العاملة مما أثر بالسلب على النشاط الاقتصادى ، فضلا عن أثرها فى اضمحلال النشاط الثقافى والفلسفى لتعصب الرهبان ضد ذلك وتحريضهم للعامة الذين قتلوا العالمة الرياضية الوثنية المصرية الكبيرة " هيباتشيا " إلا أنها علمت المصريين مبادىء هامة كالديمقراطية والاعتماد على النفس والمساواة وتقسيم العمل ، فانطلقت بذلك الروح القومية المصرية من معقلها (٢) .

ظهور الروح القومية المصرية :

إن الهدف من إظهار الجوانب المختلفة للحكم البيزنطى لمصر هو إلقاء الضوء على ماساعد منها فى إبراز الروح القومية المصرية التى أخذت فى التعبير عن نفسها فى تلك الفترة، وإن كان للمسيحية الدور الكبير فى صقلها وتعميق جذورها ، لقد كانت الطبيعة المصرية قادرة على صبغ أى حضارة وافدة بصبغة خاصة أكسبتها وضعها الحضارى الدائم فى الحياة ، فالحضارة اليونانية امتزجت بالمصرية وظهرت لها معالم جديدة هى " الهلينية " ثم امتزجت بها الرومانية فصارت الحضارة " الجريوكورمانية " الجامعة للحضارات الثلاثة (المصرية – اليونانيى – الرومانية) تلك التى ظهرت آثارها فى مجالات العقيدة والآداب والفنون (٣) .

فمنذ أن دخلت المسيحية مصر فى عام ٦٠ م ، أخذ الحكام الرومان الوثنيون فى معاداتها حتى كره المسيحيون كل مايتصل بحكامهم فتمسكوا بلغتهم وشخصيتهم الخاصة التى تجلت بوضوح منذ القرن الثالث حين عم شعور مصرى بالكره للهيلينية ظهر

---

(١) زكى شنودة ، موسوعة تاريخ الأقباط (مرجع سابق) جـ١ ص ١٧٨ .

(٢) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر (مرجع سابق) ، ص ١٦٨ / وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ص ٩٤ .

(٣) ايزاك فانوس ، الفن القبطى تأثيراته ومؤثراته بين الأصالة والمعاصرة ، إبداع ، ع٢ (مرجع سابق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

واضحا فى الريف المصرى وبخاصة فى الوجه القبلى خاصة بعد أن أحس المصريـون بعظمـة مكانتهم لعظمة كنيستهم (١).

فقد عمقت الكنيسة هذا الشعور بجعل الدعوة الدينية باللغة الوطنيـة ، وبيـن المصريين خاصة ، حتى أن الكتب المقدسة قد تم ترجمتها الى القبطية ليعلم الجميع مابها مـن تعـاليم حيث اتخذ المصريون من لغتهم وسيلة للتعبير عن شخصيتهم تلك التى غدت مع القرن الخـامس لغـة الدرس والتفسير للعلوم الكنسية بل والمكاتبات الرسمية والعقود وأضحت مع القـرن السـابع لغـة الكتابة الدينية فاندثرت الكتابات اليونانية أمام القبطية (٢) .

فقد كـانت اللغـة القبطيـة تعبيرا حقيقيـا عـن القوميـة المصريـة لرجوعهـا إلـى الأصـل الديموطيقي آخر مراحل اللغة المصرية القديمة ، وكانت تستخدم شفاهة فى الشعائر الدينية وقـد تم تدوينها باستخدام خليط من الحروف اليونانية والأبجدية المصرية للتعبير عن الأصوات (٣) .

إن حرمان المصريين من حق المواطنة داخل بلادهم ألقـى بهـم فـى حضـن المسيحية التى أشعرتهم بأهمية وجودهم كأفراد ينتمون إلى جماعة متحدة الهـدف يتسـاوى فيهـا الكـل فـى تحمل الأعباء والتمتع بالمزايا مثلا فى الاختيار حتى البطريك الأكبر فمبادىء الرحمة والمساواة فى المسيحية المفقودة فى حياتهم ساعدت على تمسكهم بها كمصدر ضوئى يوجـه نحـو القوميـة المصرية لإظهارها وإجلاء عتمتها (٤) .

لقد أصبحت الكنيسة رمزا للاستقلال القومى للمصريين فى غياب الاستقلال السياسى ، وأصبح لرعاتها دور سياسى يؤثر على الدولة الرومانية حتى أطلق على أساقفتها لقب الفراعنة، فتحكموا فى قرارات المجامع الكنسية ، وأبدلت اللغـة اليونانيـة بالقبطيـة فـى الكنـائس وأصبـح مذهبها الدينى أكبر مظهر للقومية المصرية فتعصب المصريون لها وتمسكهم بهـا كـان تعصبـا للقومية المصرية (٥) .

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ / سليمان نسيم ، (ثقافتنا القومية فى العصر القبطى) إبداع ، ع٢ (١٩٩٤) (مرجع سابق) ، ص ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) Hardy, E.R. Christian Egypt Church and People, New York (1952), pp. 169 : 172 .

(٣) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ / كمال فريد اسحاق ، (اللغة القبطية) إبداع ع٢ (مرجع سابق) ص ص ٨٦ : ٨٨ .

(٤) وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام فى مصر (مرجع سابق) ، ص ص ٩٢ : ٩٤ .

(٥) وليم سليمان قلادة ، الأقباط وكنيستهم فى مسار التاريخ المصرى ، إبداع ع٢ ، (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

خامسا : التعليم والحياة الثقافية فى مصر البيزنطية :

تركزت فى الأسكندرية الحياة العلمية والثقافية لمصر حيث أنها العاصمة وحاضرة العلم والفن والأدب ومركز التعليم الهلينى والجامعة . لقد اشتهرت مدينة الاسكندرية بأنها حاضرة العلم والأدب ومقرا لمدرسة تميزت بثقافة كبيرة ونشاط عقلى كبير واستطاعت بفضل مكتبتها ومتحفها أن تصبح قبلة علمية للطلاب والأساتذة ، لقد ترك الأباطرة الحياة العلمية فى يد الأساتذة الهيلينيين حتى مع دخول الرومان ، بالاضافة إلى احتضانها للحضارات ومزجها بالمصرية الخاصة بها (١).

لقد أصبحت الأسكندرية العاصمة الثقافية للعالم القديم ، يفد اليها الطلاب من كافة أرجاء العالم ينهلون من ثقافتها ويجلبون معهم علوم بلادهم وثقافتهم ، فازدحمت بشتى الأجناس والأديان والقافات وقامت المناقشات بين الطلاب من وثنيين ومسيحيين ويهود واتخذت تلك المناظرات طابعا دينيا وأحيانا عقليا وكان من نتاج تلك المناظرات تأسيس وازدهار مدارس الاسكندرية سواء العقلية أو الدينية وتولدت أفكار ومذاهب وفلسفات شتى ، فاتسعت دائرة الفكر والمقارنة بين الأفكار والآراء المختلفة ، فظهرت أنواع التعليم المختلفة فيها ، وسوف يتناول هذا المبحث أهم مظاهر الحياة التعليمية والثقافية فى مصر البيزنطية .

أ – التعليم وأنواعه فى مصر البيزنطية :

انقسم التعليم فى مصر البيزنطية إلى نوعين ظاهرين وهما :

١ – **التعليم اليونانى** : وهو التعليم الهلينى فى المدارس العامة والتى كان يلتحق بها التلاميذ من الوثنيين والمسيحيين .

٢ – **التعليم المصرى** : كان يتمثل إما فى التعليم الدينى الكنسى خاصة بعد إنشاء المدرسة التبشيرية والاعتراف الرسمى بالمسيحية أو التعليم الحرفى لمزاولة الحرف والصناعات (٢) .

---

(١) Matter, (R.M.), Histoire de L'e cole d'Alexandria, (op, cit) Vil, p. 314.

(٢) آمال الروبى ، التاريخ والحضارة الرومانية (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٦ .

مراحل التعليم العام فى مصر البيزنطية :

كان نظام التعليم السائد فى المدارس العامة أو المدارس الهيلينية كما درج على تسميتها هو نظام واحد سواء فى التعليم اليونانى أو الرومانى مقسما إلى ثلاث مراحل تعليمية يمر بها المتعلم ثم يلتحق بجامعة الاسكندرية (١) .

١ – **المرحلة الأولى** : تبدأ حين يبلغ الصبى السادسة من عمره حيث يلتحق بتلك المدارس ليتلقى بها موادا هى الأجرومية (النحو اليونانى) ومبادىء القراءة والكتابة (٢) .

ثم بعد تعلمه القراءة والكتابة يأتى تعلمه الحروف الأبجدية اليونانية ثم المقاطع المكونة من حرفين ، فثلاثة حتى يصل إلى الكلمات الكاملة التى تكتب عادة مقطعا مقطعا حيث كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية فى التعامل وإصدار القرارات ، حتى أوامر الامبراطور نفسه كانت تترجم إليها قبل تداولها واقتصرت فى اللاتينية على استخدام الجيش الذى كان غالبه من الرومان (٣) .

٢ – المرحلة الثانية : المدرسة الوسطى The Grammaticus وهى مدرسة تحظى بالاحترام والتقدير أكثر من المدرسة الأولية لتوقع الآباء لأن يصبح أبناؤهم أكثر حكمة ومعرفة ، حيث يتعلم فيها التلميذ النطق الصحيح من خلال علم البيان ودراسة المؤلفات الهامة والأقوال المأثورة للكتاب الرومان واليونانيين ، وإن كان الطابع اليونانى هو الأساس حتى فى مدارس روما نفسها (٤) .

وفيها كانت تتسلسل الدراسة من تعلم النحو إلى البلاغة والأدب ثم الرياضة بأنواعها بما فيها المقاييس وفن المساحة ثم الفلسفة ، وكان التلميذ يتدرج أيضا فى كتابته من الموضوعات الإنشائية إلى الخطب فى الموضوعات المقررة فى المراحل الأعلى (٥) .

---

(١) Barrow (Robin), Greek and Roman Education, London. (1985), p. 73

(٢) ستيفن رانسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الانجلو المصرية ، القاهرة (١٩٦١) ، ص ٢٦٩ / (ولعله كان من المعتاد خاصة فى الطبقة الوسطى أن تعلم مبادىء القراءة يكون على يد أحد الرهبان ثم سرعان مايذهب بعدها التلميذ إلى أحد المدارس ليتلقى تعليمه العلمانى) . ، نفس المرجع ، ص ٢٧١ .
Borrow, op. cit, p. 79.

(٣) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر (مرجع سابق) ، ص ١٢١ / آمال الروبى ، التاريخ والحضارة الرومانية (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٤) ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان ، (مرجع سابق) ، جـ٢ ، ص ٧٨٥ .
Borrow, op. cit, p. 79.

(٥) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ / آمال الروبى ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

٣ – **المرحلة الثالثة** : مدرسة الفصاحة Rbetor ، حيث كانت نمط تعليمى تكميلى لدور المدرستين السابقتين لاكتساب الفصاحة والبلاغة ليصبح التلميذ مساويا للسفسطائى ، وكانت تكثر فيها الأمثلة من القصائد الخطابية والتدريب على قراءتها مع الاستعانة بالقصص والأساطير والأقوال المأثورة للتدريب على الطابع الخيالى وأسلوب المبالغة ، فضلا عن الخطابة الجدلية ، وكان الاهتمام بهذا النمط لاهتمام المربين بالتعليم الأخلاقى(١)

وكان الكتاب الرئيسى فى المرحلتين الثانية والثالثة هو " الياذة هوميروس " التى كانت حجر الزاوية فى نظام التعليم ، فضلا عن كونها المصدر الأساسى لراغبى المعرفة والكتاب الرئيسى لكل مكتبة حتى فى بيزنطة نفسها (٢) .

وتمتع التعليم فى مصر البيزنطية بقدر ترفيهى فى دراسة الروايات التمثيلية التراجيدية والهزلية ، وتضمنه تعليم الرياضة البدنية ، وإقامة المسرحيات كوسائل للترفيه والتعليم فى آن واحد والتى كانت تعرض فى المسارح أو بهو الموسيقى ، وبخاصة بين تلاميذ الجمنازيوم الرياضى ، وكان على الراغب بعد ذلك فى استكمال التعليم أن يلتحق بالجامعة ليتخصص فى دراسة علومها كالطب أو الفلسفة أو الفلك (٣) .

اليوم المدرسى :

كان يبدأ مبكرا حيث يذهب البنون والبنات معا الى المدرسة على الأقل فى المراحل الأولى للتعليم وكان اليوم الدراسى سائدا عدا أيام الأجازات الصيفية فضلا عن أيام الأعياد التى كانت تعد أجازات (٤) .

حجرات الدرس والوسائل التعليمية :

كانت حجرات الدراسة لاتزيد عن كونها مجرد حجرات بسيطة أجرت للأساتذة ، وكان يجلس فيها التلاميذ على مقاعد خشبية بينما يجلس المعلم على مقعد مرتفع أمام تلاميذه (٥) .

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية ، (مرجع سابق) ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

Barrow, Greek and Roman Education, (op. cit,) p 82.

(٢) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر ، (مرجع سابق) ، ص ١١٩ .

(٣) ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٧٨٦ .

(٤) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

Borrow, op. cit, p. 73

(٥) Borrow, I bid.

وكان التلاميذ يستخدمون أدوات كتابية كالشقافات (كسر الفخار) أو ألواح الشمع للكتابة عليها والتى تتميز بإمكانية استخدامها أكثر من مرة ، فضلا عن الكتب الدراسية المقررة عليهم ، وبعض أوراق البردى القديمة المستعملة للكتابة على ظهرها (١) .

أوضاع المعلمين :

كان المعلمون إما موظفون بتلك المدارس أو بالجامعة أو مربون خصوصيون فى منازلهم ، وكان أغلب معلمى تلك المراحل من الوثنيين ، وغالبا ماكان يتلقى المعلمون والعلماء العطايا والامتيازات من الأباطرة كالإعفاء من الضرائب ، وبخاصة علماء الجامعة (٢) .

التعليم الحاص :

وهو نمط تعليمى تمتع به أبناء الطبقة الأرستقراطية من الإغريق والرومان لقدرتهم على دفع المصروفات وتكاليف التعليم التى تميزت بدراسة الآداب والفلسفة ومن ثم التمهيد للجامعة وهو ماكان يسمى (الشراكة) فى التعليم لتكفل ولى الأمر بالمصروفات الدراسية فيجلب لإبنه أفضل الأساتذة (٣) .

كانت هناك مواد خاصة أيضا تدرس بغرض التوظف فى الأعمال الحكومية والإدارية والتى كان يتم تدريسها عن طريق التمرين والتدريب على يد خبير أو معلم خاص لتعليم أصول الحرفة فضلا عن تعلم اللاتينية لراغبى الترقية فى الوظائف الحكومية (٤) .

ورغم هذه العمومية فى التعليم إلا أنه كان للأثرياء والطبقات الوسطى وخاصة فى المراحل الأولى ولم يكن يحظى الفقراء بقدر منه فانتشرت الأمية بينهم وخاصة بين النساء (٥) .

وبصفة عامة كانت الجتمعة هى آخر مراحل التعليم العلمى وكانت للجميع ليدرسوا فيها العلوم والآداب والفلسفة والطب والرياضيات والفلك وغيرها ، وكان الطالب الجامعى عادة

---

(١) ايدرس بل ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

Barrow, Greek and Roman Education, (op. cit,) p 79.

(٢) ستيفن رانسيمان ، الحضارة البيزنطية (مرجع سابق) ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣) Barrow, (Robim), (op. cit,) p 73.

(٤) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٥) ستيفن رانسيمان ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩ / ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان (مرجع سابق) ، ص ٧٨٦ .

مايتميز بقدر واف من الثقافة [١] .

لقد كان التعليم الدينى يسير جنبا إلى جنب مع التعليم العلمى رغم كونه منفصلا عنه حيث كان يتم بواسطة رجال الدين إلا أنه لم يكن هناك مايمنع الخروج منه للتعليم العلمى أو العكس أو ما يمنع من وصول علمائه لمصاف أساتذة الجامعة (٢) .

تأتى البداية أولا بالحديث عن ضرورة وجود التعليم الدينى ثم يتبعه الحديث عن طبيعته ومدارسه وعلومه وعلمائه ، وأماكن الدرس ، والاسهامات الفكرية والعلمية للكنيسة والأديرة ثم تناول أوجه الشبه بين نوعى التعليم العلمى والدينى .

التعليم الدينى المسيحى :

قامت فى مصر مدرسة للتعليم الكنسى عرفت " بالديداسكاليا " Didascalee " لتلقين وتعليم مبادىء الدين ، وقد تمكنت تلك المدرسة بفضل علمائها من أن يصبح لها أثر كبير فى العملية التعليمية فى مصر البيزنطية بل ، فى إصدار القرارات الدينية (٣) .

لذا كان من الضرورى قبل التحدث عن تاريخ تلك المدرسة أن نذكر العوامل التى أدت إلى نشأتها فحين ظهرت المسيحية بمصر سنة ٦٥ م وانتشرت فى البلاد خلال فترة وجيزة فى مجتمع ملىء بالمناقشات الدينية والعقلية ما بين الهيلينية واليهود حيث واجهت المسيحية تحدى فكرى جعلها تفكر فى إنشاء معهد لتدريس تعاليم الدين الجديد وتمكنها من الدفاع عن نفسها (٤) .

ايضا كان من الضرورى مع زيادة عدد المنضمين إلى المسيحية أن يجعل للتعليم المسيحى أسس منهجية منظمة لإكساب المعتنقين لها ما يؤهلهم للمعمودية والإنضمام للكنيسة ، وما يساعدهم كذلك على تثقيف أنفسهم دينيا وفتح المجال أمام الراغبين منهم فى التزود من

---

(١) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ١٢٣ .

(٢) ستيفن رانسيمان ، الحضارة البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٠ / ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) الباز العرينى ، مصر البيزنطية ، (مرجع سابق) ، ص ص ٧ : ١١ / وليم قلادة ، (الأقباط وكنيستهم) ، إبداع ، ع٢ (مرجع سابق) ، ص ٤٤ .

(٤) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٢ / وليم قلادة ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

الدراسات العليا والتعمق فى دراسة الفلسفة واللاهوت (١) .

من الأسباب ايضا معاداة العالم الهيلينى للمسيحية الوافدة وذلك باستخدام الطرق العلمية والعقلية بالإضافة لوجود المدارس الإسرائيلية التى كانت تهاجم أيضا المسيحية ولحماية المؤمنين مما يثيرونه فيهم من شكوك وللرغبة فى تبشيرهم وتعريفهم بالمسيحية فكان لابد من وجود المدرسة المسيحية خاصة لمجابهة الجامعة الوثنية (٢) .

هذا بالإضافة إلى رغبة المبشرين بالمسيحية فى مقاومة الهرطقات التى دخلت على المسيحية كالغنوسية والافلاطونية الحديثة (٣) .

لكل ذلك أقيمت المدرسة المسيحية التى كانت فى جوهرها مدرسة للأطفال تبدأ بتعليمهم العقيدة وكانت غالبا ما يختار عميدها أو أحد خريجيها ليكون "بابا" للكنيسة القبطية مما جعل لباباواتها مركزا ممتازا فى العالم المسيحى حيث كانوا يعدون المرجع الأول فى القضايا الدينية وكانوا قادة المناقشات والمجامع العالمية ، كما كان لها الفضل فى تلقين أصول الدين للجماهير بانتسابهم إليها أو عن طريق خريجيها ممن تولوا مراكز التدريس فى الكنيسة وتخرج فيها الأساقفة من كافة أرجاء العالم المسيحى (٤) .

وقد لمع اسم هذه المدرسة واضحا فى القرن الثانى الميلادى على أيدى مديريها الفلاسفة المشهورين بلنتاينوس ، واكليمنص وأوريجانوس وديونسيوس ، وقد تعطل نشاطها قليلا بسبب اضطهادات القرن الثالث ثم عادت لقوتها فى القرن الرابع على يد مديرها ديديموس الضرير ، واستمرت حتى القرن الخامس ثم سلمت القيادة للرهبنة والأديرة (٥) .

لقد كانت بداية تلك المدرسة بداية متواضعة يعلم المعلم كل من يرغب فى التعليم سواء

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٧ / سعيد اسماعيل على ، نظرات فى الفكر التربوى ، دار سعاد الصباح ، القاهرة (١٩٩٢) ص ٢٠٩ .

(٢) وليم قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٨٢ / أمين الخولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٣) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٨ .

(٤) الباز العرينى ، نفس المرجع ، ص ١٠ / وليم سليمان قلادة ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٥) أمين الخولى ، تاريخ الفلسفة اليونانية (مرجع سابق) ، ص ٢٦٩ / رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة (مرجع سابق) ، جـ٢ ص ١٥٨ .

كان مسيحيا أو غير مسيحى وذلك فى منزله بلا أجر ، يدرس وحده أو يتخذ له معاونا وكان يعتمد فى البداية على تدريس العلوم الدينية والتفسير الصوفى المجازى للمجال اللاهوتى (١)

لقد كان المعلم كالواعظ يتخذ طريق الوعظ والإرشاد كوسيلة للتدريس ويستخدم الحجة والإقناع (٢) .

كان التلاميذ من الجنسين (ذكورا وإناثا) من كافة الطبقات يعملون بكل الصناعات منهم السيد والعبد الكبير والصغير دون تفرقة بين جنس أو دين أو عمر أو ثقافة (٣) .

أما عن المواد الدراسية فكانت دينية فى بدايتها ثم مالبثت أن دعت الحاجة إلى تدريس علوم اللغة والفلسفة والرياضيات (٤) .

وكان المنهج الذى سعت إلى نشره هو اعمال التوازن بين الفكر والممارسة فلم يكن التعليم بها نظريا بحتا وإنما كان جامعا بين الدراسة النظرية وبين تأصيل الخبرة العملية للحياة (٥) .

لقد حققت المدرسة نجاحا كبيرا على الرغم من عدم ملكيتها لمبنى خاص أو مكتبة خاصة ، وإنما كان أساتذتها يلقون الدروس فى منازلهم أو فى قاعات تستأجر للدرس ، وكان الطلبة والأساتذة يذهبون معا إلى مكتبة الأسكندرية العامة الوثنية للقراءة أو الاطلاع والدرس (٦) .

لقد كان الفضل فيما وصلت اليه هذه المدرسة إلى علمائها وفلاسفتها ولعل من أشهرهم :

---

(١) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، (مرجع سابق) ، ص ٢٦٩ / رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة (مرجع سابق) ، جـ٢ ، ص ١٥٨ .

(٢) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر (مرجع سابق) ، ص ١٢٣ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ص ٢٨٢ .

(٣) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية ، (مرجع سابق) ، ص ٢٤٤ .

(٤) يوسف كرم ، المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٥) وليم قلادة ، المسيحية والاسلام على أرض مصر (مرجع سابق) ، ص ٨٣ .

(٦) أمين الخولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

١ – **بانتاينوس Pantaenus (١٨١ م)** : الذى ترجع شهرة المدرسة لنجاحه فى إدارتها حيث أمها الراغبون فى العلم والدين من جميع أنحاء العالم لدرجة أن وفدا من الهند طلب من البابا السكندرى "ديمتريوس" إرساله إلى بلادهم للتبشير بالمسيحية فسافر فعلا عام ١٩٠ م وترك الإدارة إلى تلميذه "كليمان" (١)

٢ – **كليمان (إكليمنت) السكندرى Iciement (١٥٠ – ٢١٧ م)** : كان فى البداية فيلسوفا وثنيا قبل تحوله الى المسيحية ، حيث درس الفلسفة باليونان ، وطلب العلم بها ، وبإيطاليا وفلسطين ومصر وأخذ علومه فى المسيحية عن بانتانيوس . وقد كان واضعا لسياسة المدرسة التعليمية التى مزجت تعاليم الدين بالفلسفة فقد كان يرى بعض الناس الاقتصار على الإيمان ، والانصراف عن الفلسفة والعلم ، هؤلاء مثلهم مثل من يأبى تعهد الكرم ويرى أن يجنى منه عنبا ، لقد قام بوضع مصنفات كثيرة لتوضيح منهجه منها " المؤدب" و " الهادى" و "المعلم" ، وكان يلقى دروسه شفاهة على تلاميذه ، وقد دافع عن الفلسفة ودراستها وتدريسها (٢) .

لقد فتح "كليمان" الأبواب أمام جميع التلاميذ لدراسة كل أنواع المعرفة ، وقد حارب جميع البدع التى وفدت على المسيحية من خلال كتبه "كالمتنوعات" الذى عارض به الغنوسية المنحرفة وظل مديرا للمدرسة حتى اضطهاد الإمبراطور "سبتيموس ٢٠٢ م" فتركها لتلميذه الذى فاقه شهرة وعلما (٣) .

٣ – **أوريجين السكندرى Origen (١٨٥ – ٢٤٥ م)** : تلميذ كليمان إلا أنه فاق أستاذه فى عمق فكره وعقله ومقدرته على تفهم المبادىء الفلسفية وإدراكا أدق لروح البحث العلمى ، ويعد لذلك من أعظم الشخصيات التى أخرجتها الكنيسة (٤) .

كان على درجة كبيرة من الثقافة فقد ألم بالفلسفة والمنطق والهندسة والرياضيات والموسيقى والبلاغة وجمع بين معلومات المدرستين المسيحية والوثنية حيث درس على كليمان

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(٢) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٣٩ / يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية (مرجع سابق) ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ / وليم سليمان قلادة ، الأقباط وكنيستهم ، إبداع ، ع٢ (مرجع سابق)، ص ٤٤ .

(٣) أمين الخولى ، المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٤) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ١٣٥ .

وأمونيوس ، وهو أول مسيحى أراد أن يرسم الحدود بين العقل والوحى ، وألف كتابا فلسفيا عن مذهبه فى الوجود غلبت عليه الأفكار اليونانية (١) .

لقد كان لأورجين فضل كبير فى إرشاد تلاميذه من الوثنيين للمسيحية وتميز بآرائه فى الفقه المسيحى ، وعمل على تصحيح الترجمة اليونانية للتوراة . إلا أن مؤلفاته لم يبق منها إلا شذرات فى شرح الإنجيل ، وكان منهجه هو استخدام الفلسفة اليونانية فى تفسير الديانة المسيحية (٢) .

٤ – **ديديموس الضرير** : ولد بالاسكندرية ٣١٣م كان يتعلم القراءة والكتابة بحفر الحروف وتحسسها باصابعه حيث أنه سبق طريقة برايل بخمسة عشر قرنا وتمكن من إتقان علوم كثيرة كالشعر والبلاغة والفلك والهندسة والحساب ونظريات الفلسفة بأنواعها فضلا عن براعته فى العلوم اللاهوتية ودراسة الكتاب المقدس حتى عينه القديس "أثناسيوس" مدرسا ثم مديرا للمدرسة اللاهوتية ، ورغم مصاعب التعليم وقتئذ لتدخل الحكام المدنيين إلا أنه وقف أمام الأريوسيين والوثنيين حتى أصبح قدوة فى دراسة الكتاب المقدس وترجمت كتبه ، وبذلك تمكن من إعادة أمجاد المدرسة أيام كليمان وأورجين وتوفى عام ٣٩٨ م وترك ٤٨ مؤلفا فى اللاهوت والتفسير وكان سندا لأثناسيوس فى دفاعه ضد الأريوسية (٣) .

الاسهامات الفكرية والعلمية للمدرسة :

لقد أسهمت المدرسة فى نمو الفكر اللاهوتى فى الشرق كما عملت على تفسير الكتاب المقدس وقد قاومت البدع كالغنوسية وذلك بتهيئة أنواع التعليم المختلفة أمام المسيحيين فضلا عن نمو الفقه المسيحى "Theology" وتوطيد قواعد الكتب المقدسة وكان لها الدور الأكبر فى جعل اللغة القبطية هى اللغة الأساسية للكنيسة (٤) .

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٤٠ / يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٠ : ٢٣ .

(٣) أمين الخولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

(٤) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ١٢ / رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة (مرجع سابق) ، جـ٢ ص ١٥٧.

لقد فتحت مجال التعليم أمام الجميع وعملت على المزج بين العلوم الدينية وبين العلوم العقلية كالفلسفة (١) .

كما كان لعلمائها دور كبير فى المجامع العالمية وفى مقاومة الأريوسية وأخرجت أجيالا من رجال الدين من بطاركة وأساقفة لمصر ولكثير من البلاد المسيحية الأخرى (٢) .

كانت السبب فى ظهور أسماء لامعة من العلماء المسيحيين فى كافة المجالات العلمية المختلفة ، ففى الطب "جالينوس" وفى الطب وفقه الدين "هرون" و "سرجيوس" و "حنا فيلوبونس" فى الفلسفة والنحو واللاهوت وشروح أرسطو و "هيروقيلاس" مؤسس علم التشريح و" ايريسرتتوس" مؤسس علم وظائف الأعضاء والهندسة والبناء والفلك القبطى والصناعات (٣) .

وقبل الانتهاء من الحديث عن المدرسة اللاهوتية ينبغى أن نوضح أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين المدرسة الوثنية المسايرة لها فى نفس الوقت والفرق بين أهداف كل منهما .

العلاقة بين المدرسة الهيلينية الوثنية وبين المدرسة اللاهوتية المسيحية :

لقد كانت المدرسة الوثنية فى أوج ذروتها فى العلوم والفلسفة فى القرون الأولى للمسيحية ولم توجد فى العالم كله مدرسة تعادلها كمركز للدراسات الطبيعية والعلمية فى الطب والتشريح والرياضيات والفلك والجغرافيا وحتى النقد الأدبى أو الفلسفى التى تميزت بها وأنجبت من خلالها "الأفلاطونية الحديثة" و "الغنوسية" ونشرتهم فى العالم ، وقد عاشت بجانبها المدرسة المسيحية التى جمعت بين العلوم الدينية والعلوم العقلية ، وكانت كمرآة تعكس الوضع الثقافى بالاسكندرية وأثرت كل منهما فى الأخرى .

لقد اختلفت المدرستان فى الهدف ، فالمدرسة الوثنية كانت تهيىء الطلبة لمناصب ومراكز الدولة ولم يكن هذا هدف المدرسة المسيحية التى اهتمت فى البداية بإعداد الطلبة لحياة

---

(١) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية (مرجع سابق) ، ص ٢٦٩ .

(٢) وليم سليمان قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٢ ، ٨٢ ، ٨٣ / أمين الحولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٤٢ .

(٣) Oleary, (Delacy) : How the Greek Scince Passed to the Arabs. (Op. Cit), P 92.

بتلر ، فتح العرب ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، الهيئة المصرية ، القاهرة (١٩٨٩) جـ١ ص ٨٤ / أمين الخولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص ٢٤٥ : ٢٤٧ .

الكهنوت ، فى حين اهتمت المدرسة الوثنية بالتقدم الثقافى أولا ، فاهتمت بالمستوى الأخلاقى للأساتذة ، وفى المدرسة الوثنية كانت الفلسفة والعلوم يدرسان لذاتهما بينما فى المدرسة المسيحية كانا يدرسان لخدمة الدين خاصة بعد أن أصبحت وحدها فى الميدان منذ القرن الخامس الميلادى .

لقد اقتصر التعليم العيلينى على الطلبة من الطبقات العليا وقلة من الطبقة المتوسطة ويشترط فيهم توافر مستوى ثقافى واجتماعى معين . ولكن التعليم فى المدرسة الوثنية يتم فى أماكن مختلفة ليس بينها صلة بينما فى المدرسة المسيحية كانت الصلة دائمة بين المدرس وتلميذه (١) .

لقد أدى الاختلاف بين المدرستين إلى نهضة وازدهار العلوم والفلسفة واللاهوت وذلك فى القرون الأولى للمسيحية فأدخلت المدرسة المسيحية المواد الوثنية فى مناهجها ، وقام الوثنيون بدراسة الكتاب المقدس للرد على المسيحيين ، واستخدم العلماء المسيحيون كل العلوم ونبغ فيها أساتذتها ككليمان وأورجين بل وساعدوا طلبتهم على القراءة وإلقاء المحاضرات فى أى موضوع يطرح عليهم ، حتى أن الجامعة فى أحد مراكزها وهو السيرابيوم كانت تراعى ألا تتعارض أساليبها مع المسيحيين أو الوثنيين (٢) .

التعليم فى الأديرة : كان التعليم فى الأديرة جزءا لايتجزء من التعليم الكنسى الدينى وكان يخضع لإشراف الكنيسة ، وكان الاهتمام الرئيسى فى التعليم فى الأديرة بعلوم الدين واللاهوت الذى وضع أسسه العلمية القديس اثناسيوس وأصول التنسك وفق نظام التلمذة (٣) .

وقد اعتبرت صحراء الأديرة جامعة لكل أبناء مصر حيث يجمع فيها النساك حول المعلمين لينهلوا من علومهم ويدرسون بالقبطية فى تلك الأديرة المصرية التى نقلت التصوف والديرية لجميع جهات العالم المسيحى ، كما ساهمت فى إرساء قواعد اللغة القبطية لأن الرهبان كانوا يستخدمونها فى الوعظ والإرشاد الدينى مثل " شنودة الأتربى " (٤) .

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ / رانسيمان ، الحضارة البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٠ .

Matter, (R.M.), Histoire de L'e cole d'Alexandria, (op, cit), p 315 , 316 .

(٢) أمين الخولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٣) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٨٥ / الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٣٢ : ٣٨ .

لقد كان لرهبان الأديرة دورهم فى التشريع الكنسى كأثناسيوس فضلا عن تصنيف المؤلفات فى التاريخ الكنسى والسير وأقوال الأدباء (عن الرهبان الأوائل) وسير القديسين [١].

كما علمت الرهبة المصريين التفرغ للدين والعلم ، وبرع النساك فى نسخ الكتب وزخرفتها وفى فنون النجارة والعمارة وغيرها من الفنون وكتابة الكتب (٢) .

أقسام جامعة الأسكندرية :

ضمت جامعة الأسكندرية التى كانت مركز الاشعاع الحضارى العلمى فى مصر اليونانية والرومانية عدة مؤسسات اعتبرت كأكاديميات للبحث تدرس بها علوم الجامعة وهى مدرستى المتحف والسيرابيوم ، إلا أنها قد ضمت داخلها كذلك ماكان يتعلق بمدارس العلوم كمدرسة الفلسفة ومدرسة الطب وغيرها .

١ - مدرسة المتحف " الموسيون " :

كان الموسيون بمثابة أكاديمية البحث بها قاعات يجتمع فيها العلماء من كافة أنحاء العالم للتدريس بها وإدارة المناقشات ، وكان يأتى إليها الكثير من الأساتذة والفلاسفة من كافة الأنحاء (٣) .

وفى أكاديمية المتحف كانت مدارس الطب والتشريح والجراحة ومدرسة الرياضيات والفلك ومدرسة القانون والفلسفة ، وقد استمر عطاؤها العلمى حتى نهاية القرن الرابع برغم تغير اسمها إلى الحمناز أو معبد كلوديوس أو معبد أغسطس (٤) .

ثم اندمجت مدرسة الموسيون فى السرابيوم بعد زمن ثيودوسيوس حين اصبح كهنة السيرابيوم من رجال المتحف ومدرسته ولكنها ما لبثت ان تداعت لعدة اسباب من اهمها : -

١- أنها لم تقدم القدر العلمى المطلوب سواء للمسيحيين او الوثنيين نتيجة لأساليب تحفظها .
٢- اصبحت مصدر تعطيل للايمان ومركز نزاع بين الوثنيين ومركزهم السيرابيوم وبين

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٤٨ ، ٢٥٧ .
(٢) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ص ٣٥ : ٣٨ / محمد عواد حسين وآخرون ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور ، الاسكندرية (١٩٦٣ م) ، ص ٢٠٩ .
(٣) آمال الروبى ، التاريخ والحضارة الرومانية (مرجع سابق) ، ص ١٦٩ .
(٤) بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، ص ص ٣٥٢ : ٣٥٧ /
Matter, (R.M.), Histoire de L'e cole d'Alexandria, (op, cit), p. 316 , 317 .

المسيحيين الملتفين حول الكرسى الأسقفى فى البطريركية .

٣ – تعرضت لمناقسة مدارس بلاد اليونان وآسيا وإيطاليا التى هرع إليها الطلاب الشبان المسيحيون والوثنيون بعد أن أصبحت مركزا للبلاغة والفلسفة والفقه والقانون [١] .

وارتبط اسم أكاديمية المتحف أو مدرسته بمكتبة المتحف أو دار الكتب التى أنشأها بطليموس سوتير أو بطليموس فيلادولفوس ، وعمل مؤسسها على جمع الكتب فى كل العلوم والفنون حتى قيل إنها كانت تضم مالايقل عن مائتى ألف مجلد وإن قدره البعض إلى خمسمائة ألف إلا أن هذه المكتبة العريقة قد تعرضت إلى الحريق فى عهد يوليوس قيصر ٤٧ ق.م فعوض أنطونيوس عنها كليوباترا بـ ٢٠٠,٠٠٠ مجلد من مكتبة برجاموم بآسيا الصغرى تميزا لها عن مكتبة المتحف الأم . ونحن لانعرف حقيقة وقت انتهاء الأولى وإنشاء الثانية ، فالمعروف أن الأولى كانت قد فنيت فى القرن الرابع وأن الصغرى قد مضى زمن على إنشائها(٢) .

مدرسة السيرابيوم :

كان السيرابيوم – كمقر اتخذه الفلاسفة الوثنيون مقابل للبطريركية التى اتخذها المسيحيون – يؤدى دوره بعد مدرسة المتحف كمقر لتحصيل العلوم فقد كان يحتوى على العديد من الحجرات التى استخدم بعضها لحفظ المخطوطات فضلا عن الحجرات للاطلاع والتى ملئت بالكتب المعنية للدارسين ككتب أرسطو ، وكتب دراسة الفلسفة والعلوم وقد فتحت أبوابها للدارسين والمطلعين (٣) .

وفى ساحة المعبد كانت توضع حاويات لكتب المكتبة الإبنة التى اتخذت مقرها داخل السيرابيوم وقد تم انتقاء محتوياتها بعناية حتى وصلت الى اثنين وأربعين ألف وثمانمائة مخطوط فى عهد (كاليماكوس ت ٢٣٥ ق.م) وأخذت فى الزيادة حتى وصلت الى مائة ألف مخطوط (٤) .

وظلت المدرسة قائمة حتى أمر الإمبراطور ثيودوسيوس بتدمير المعابد الوثنية المقاومة

---

(١) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ /

Matter, (R.M.), Histoire de L'e cole d'Alexandria, (op, cit), p. 316 , 317 .

(٢) زكى على ، الاسكندرية فى عهد البطالمة والرومان ، القاهرة (١٩٧٨م) ص ٢٢ / بتلر ، فتح العرب (مرجع سابق) جـ٢ ص ٣٥٧ .

(٣) بتلر ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٥٨ /

Parson, Edward, Alaxander : The Alexandrim Library, Lon. (1952), p.342.,

(٤) زكى على ، المرجع السابق ، ص ٢٢ /

Parson, I bid, p 349 .

للحكم البيزنطى بمصر فدمر السيرابيوم سنة ٣٩١ م وقامت مكانه كنيسة سميت باسم حنا المعمدان سنة ٣٩٥ أوباركاديوس (١) .

ورغم تدمير السيرابيوم ومكتبته إلا أن توابع لم تتعرض للدمار التام لأنها كانت عمائر ضخمة فانتقل إليها فى القرنين الخامس والسادس ماتبقى من المدارس والمعاهد الوثنية وبقايا المدرسة المسيحية (٢) .

وعلى الرغم من تدمير تلك المؤسسات إلا أن مدارس الاسكندرية من مدارس نحويين ونقاد وفلاسفة وأطباء ، ظلت تؤدى دورها حتى القرن الخامس وما بعده حيث ظلت المواد الوثنية يدرسها طلاب وثنيون ومسيحيون ويأخذون العلم على علمائها كثيون الرياضى وابنته الفيلسوفة هيبانشيا . واستمر عمل تلك المدارس رغم خضوعها إسميا لإدارة مسيحية ، وحين أغلق جستنيان مدرسة أثينا ٥٢٩م رحل أساتذتها فى العلوم والفلسفة إلى مدرسة الاسكندرية ليدرسوا بها (٣) .

وظل عطاء العلماء فى كافة المواد فى مدارس الاسكندرية مستمرا ولمع منهم أوريون فى المعاجم وثيودوت السكندرى فى النحو واسطفان فى الفلسفة وهيبانشيا فى الرياضيات والفلسفة (٤) .

وبقيت أخيرا المكتبات الخاصة للعلماء الذين فتحوا دورهم لطلبة العلم وكان منهم التلاميذ النساك وكانت دار " كوسماس" ممتلئة بالكتب ومفتوحة للراغبين والمريدين والمستعيرين وللمناظرات حول عدة اهتمامات ومواضع وقد برع شخصيا كمعلم لاهوتى (٥) .

المدارس العلمية وعلماؤها :

١ – **مدرسة الفلسفة** : من أهم المدارس التى بدأت فى عهد البطالمة واستمرت حتى القرن السادس الميلادى وظلت بها الصيغة الهيلينية الوثنية حتى القرن الخامس حيث بدأ الأثر المسيحى يتوغل بها (٦) .

---

(١) Matter, Histoire de L'e cole d'Alexandria, (op, cit),V.1 p. 321 , 322 .

(٢) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٥ .

(٣) (op, cit),V.1 p. 332 , 333 .

(٤) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٥) Hardy, (E. R.) Chiristian Egypt Church and People, New York (1952), p. 161, 162 .

(٦) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر (مرجع سابق) ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

ومن أهم فلاسفتها فيلون السكندرى الذى يعد من أشهر المؤلفين والشارحين للتوراة وعمل على مزج الفلسفة باليهودية (١)

وظلت الفلسفة فى يد علمائها من الوثنيين فى غالب الأمر الذين عملوا على شرح وتفسير كتابات أرسطو ، وتعد عالمة الرياضيات هيباتشيا (ت ٤١٥) ابنة ثيون - آخر علماء المتحف - من أهم الفلاسفة فى مصر البيزنطية وذاع صيتها فى شرح فلسفة أفلاطون وأفلوطين واشتهرت بتدريس الأفلاطونية الحديثة ، لقد بلغت مكانة كبيرة جعلتها قبلة يفد اليها الطلاب وثيون ومسيحيون إلا أن بعض المسيحيين المتشددين كرهوا اختلاطها بالرجال فقتلوها (٢) .

ورغم ذلك استمر تدريس الفلسفة بعدها وإن عمل الفلاسفة الوثنيون على إخفاء عداوتهم للمسيحية ، وزاد دور مدرسة الاسكندرية الفلسفى بعد إغلاق جستنيان لمدرسة أثينا سنة ٥٢٩ ورحيل علماؤها إليها خاصة السفسطائيين الذين أتوا لتعليم مبادئهم (٣) .

وإلى جانب الهيلينيين برع من الفلاسفة المسيحيين حنا فيلوبوس من أفذاذ علماء الاسكندرية سنة ٥٦٨ واشتهر بالفلسفة فضلا عن النحو واللاهوت ويعد من شراح أرسطو وشرح الايساغوص لبورفيروس الصورى فى علم المنطق (٤) .

والفيلسوف اسطفان المسيحى - أواخر القرن السادس - والذى درس شروح أرسطو ، وحاول بالفلسفة إضعاف العقيدة المونوفيزقية (٥) .

٢ - **مدرسة الشعر والأدب** : كان الأدب يعتمد على الأدب اليونانى بصورة كبيرة ، فقد اتبعت الأوزان اليونانية وغلب عليها الطابع الوثنى ، وكان الشعراء شديدى التأثر بالأساطير اليونانية وأشعار هوميروس ومنهم (بانوس) الشاعر المصرى الأخميمى فى القرن الخامس

---

(١) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية (نفس المرجع) ، ص ٢٤٧ : ٢٤٩ .

(٢) Matter, (R.M.), Histoire de L'ecole d'Alex. (op, cit),V.1 p. 332 , 333 . \ Parson, (E, A) The Alexandrian Library, (op. cit), 353 - 356

(٣) الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٨ .

(٤) بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٨٣ /
Oleary, (De Lacy) : How the Greek Scince Passed to the Arabs (op. cht), p 92 .

(٥) Hardy, (E. R.) Chiristian Egypt Church and People,(op. cit), p 162.

الميلادى وكانت الدراسات تعتمد على كتب المؤلفين القدامى وشعراء الملاحم ومؤلفى الكوميديا والتراجيديا (١) .

لقد كانت تلك سمة الأدب والشعر فى العالم البيزنطى بأكمله حتى أن شعراء الرومان كانوا ينسجون عادة على منوال شعراء الاسكندرية المتفقهين (٢) .

وكانت هناك من النصوص المسرحية التى ألفت على نمط التراتيل والأدعية فى الكتاب المقدس (٣) .

واشتهر المصريون بولعهم بالشعر والأدب الرومانتيكى حيث كان الكتاب وثنيون أو مسيحيون متحمسين للآداب ، ومع استقرار المسيحية أخذ الأدب طابع خاص حتى سمى بالأدب القبطى واعتمد على اللغة القبطية فى الكتابة وأخذ طابع الكتابات الدينية عن القديسين والشهداء مثل ما كتبه "بولس السلنتيارى" فى مدح فضائل القديسة صوفيا فى شعر هومرى ذى ستة مقاطع ، كما كتب (صفرونيوس) وهو بالأسكندرية قصيدة عن شوقه للأراضى المقدسة فى صورة شعر غزلى (٤) .

ورغم تدهور الأدب إلى حد ما فى مصر البيزنطية إلا أن القراء استمروا فى قراءة المؤلفات الأدبية فى الشعر اليونانى وقصائد "أناكريون" و "نونوس" ومسرحيات "مناندر" و "ديموى" مما يشير إلى استمرار تلك الثقافة الأدبية بالعواصم الكبرى على الرغم من تراجع اللغة اليونانية أمام القبطية التى عبرت عن القومية المصرية (٥) .

٣ – مدارس الطب والصيدلة والكيمياء : أهم المدارس على الاطلاق فقد كانت مصر المركز الرئيسى لتدريس علوم الطب والتشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء . أتى اليها الطلاب من كل مكان لأخذ علوم الطب من مدرستها العظيمة التى أخرجت العديد من الأطباء العظماء (٦).

---

(١) زبيدة محمد عطا ، الدولة البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٣٢ ، ٣٣ / الباز العرينى ، مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) ابراهيم نصحى ، تاريخ الرومان (مرجع سابق) ، جـ٢ ص ص ٧٦٠ ، ٧٦١ .

(٣) ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

(٤) الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ٣٢١ /

Hardy, (E. R.) Chiristian Egypt Church and People,(op. cit), pp 169 : 172 .

(٥) ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٦) بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، جـ١ ، ص ٨٤ .

فقد كان لمصر الفضل الأكبر فى تأسيس علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح وخاصة تذكرة الطب المشهورة بتذكرة " كرينليوس كلسوس " التى ظل العالم يستخدمها حتى القرن الثانى عشر الميلادى (١) .

لقد ظهرت أسماء لمعت فى هذا المجال وكان للأقباط دور كبير فى مجال الطب منهم هيرفيلاس (مؤسس علم التشريح) وايريستترانوس (مؤسس علم وظائف الأعضاء) وكرنيليوس كلسوس (صاحب فكرة لمنع تلف الأسنان) وسرابيون السكندرى والعقاقير وقام القبط بوضع جميع المصطلحات الطبية مثل medicina بمعنى عقاقير و Medicamentus بمعنى أدوية تلك التى أخذها عنهم العالم (٢) .

لقد كانت كتب جالينوس هى أساس الدراسة بالأسكندرية حيث كان الطلبة يدرسون كتبه الستة عشر فكان لابد من إجادتها لمن يريد العمل بالطب (٣) .

ومن أطباء القرنين السادس والسابع الميلاديين "يحيى فيلوبينوس" عالم النحو والفلسفة ، وقد ذكر عنه ابن أبى أصيبعة أنه سمى "فيلوبينوس أى المجتهد" فهو من مصنفى كتب جالينوس الشهيرة (٤) .

وفى القرن السابع كان "اصطفن الاسكندرانى" فيلسوف بلاد هرقل وأشهر معلمى الطب بالاسكندرية فى تلك الفترة وهذا يدل على ازدهار مدرسة الطب بمصر حتى الفتح العربى (٥).

٤ – الرياضة والميكانيكا والفلك : لقد نبغ من مدرسة الاسكندرية "اقليدس" وكانت الرياضيات مرتبطة بالميكانيكا والفلك كتطبيقات لها وأيضا اشتهر العالم "كوبرنيكس" ومعرفته لدوران الأرض حول الشمس وقياس (اراتستنيس) لقطر الأرض والذى لم يختلف عن الحقيقى (بالوسائل الحديثة) عن خمسين ميلا ,ايضا العالم أرشميدس وغيرهم كثير نبغوا فى علم الفلك فنجد منهم "اسطفن الاسكندرانى" حيث ظل الفلك علما قائما بذاته ، وقد تمكن العلماء المصريون من صبغه بالصبغة المسيحية فى الفلك القبطى وتقويمه وبالتالى تم تحديدالأوقات

---

(١) زكى على ، الاسكندرية فى عهد البطالمة والرومان (مرجع سابق) ، ص ٢ .

(٢) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٣) ابن أبى اصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، بيروت (١٩٨٧) ، جـ١ ص ٣ وما بعدها / عبد الرحمن بدوى، التراث اليونانى فى الحضارة المصرية ، القاهرة (١٩٦٥) ص ص ٤٥ : ٤٨ . / محمد كامل حسين ، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ليبيا (ب . ت .) ، ص ٢٨٢ .

(٤) ابن أبى أصيبعة ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤ : ١٠ .

(٥) عبد الرحمن بدوى ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

للأعياد المسيحية التى اتبعها العالم فقد تم فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، التصريح للبطريك القبطى بالتحديد المضبوط لعيد القيامة بعد تضارب أقوال علماء المسيحية فى تحديده (١) .

واستمرت تلك العلوم تدرس بالأسكندرية حتى القرن الخامس وكان الأساتذة وثنيين أو مسيحيين يتصدون لتلك العلوم بالتدريس وكان أشهرهم ثيون Theon الذى برع فى علوم الرياضيات (٢) .

٥ – **الجغرافيا والتاريخ** : من العلوم التى ظلت مصر تحمل مشعل التقدم فى مجالها ، فبالنسبة للجغرافيا فقد نبغ من علمائها "بطليموس الجغرافى" الذى ظلت شهرته حتى عند العرب كما نبغ أيضا فى الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية لذلك فقد درس الجغرافيا على أساس فلكى مما يعد قفزة فى مجال ذلك العلم وأخذت أخطاؤه كمقياس فى العصور التالية لتصحيح المعلومات الجغرافية مما مهد لقيام علم الجغرافيا الحديثة . فضلا عن العالم "كزماس" ونبوغه فى علم البلدان حتى أسموه " البحار الهندى " (٣) .

ومن العلوم الهامة التى نبغ فيها أيضا المصريون علم التاريخ ، وإن كان قد غلب عليه فى العصر البيزنطى النمط الدينى فى التاريخ والذى قام به الرهبان فلم يبق من الأخبار التاريخية الصحيحة فى تلك الفترة إلا اليسير من أخبار "تيوفلاكت سيموكاتا" من أبناء الاسكندرية و " ديوان بسكال" للكاتب الاسكندرى المجهول الذى وصف عصره بكل عناية ودقة ممكنة وقتئذ (٤) .

ويعتبر " حنا النقيوسى " من أهم مؤرخى العصر البيزنطى الذى ألف أهم كتبه فى التاريخ فى أواخر القرن السابع ، وتحدث فيه عن مصر وأحوالها ووصل إلى الفتح العربى ، وقد أخذ عنه المؤرخون المسلمون أسلوب الكتابة التاريخية منذ بداية خلق العالم وقد حوى كتابه على الكثير من سير الآباء البطاركة . بالإضافة إلى كتابات الآباء اللاهوتية والتى اتخذت طابعا تاريخيا إلى حد ما ككتابات أثناسيوس الذى اعتبر أبا لعلم اللاهوت (٥) .

---

(١) ناجى معروف، اصالة الحضارة العربية ،دار الثقافة ، لبنان (١٩٦٩)، ص ٤٢٥ / زكى على ، الاسكندرية فى عهد البطالمة والرومان (مرجع سابق) ، ص ٣٢ / بتلر، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، جـ١ ص ص ٩٠ ، ٩٢.

(٢) Oleary, (De Lacy) : How the Greek Scince Passed to the Arabs (op. cht), p 33.

(٣) آمال الروبى ، التاريخ والحضارة الرومانية (مرجع سابق) ، ص ١٧٠ / بتلر ، المرجع السابق ، ص ٩١ ، ٩٢.

(٤) بتلر ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٨٥ .

(٥) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٤٩ ، ٢٥٥ ./ بتلر ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .

الهندسة المعمارة : من العلوم التى نبغ فيها المصريون علم الهندسة والعمارة ، لقد قاموا بتوظيف عناصر البيئة والتعبيرات الدينية ، فقد تميز المصريون بخطوطهم الهندسية والمعمارية والتى عبرت عن التيارات المختلفة التى تنازعت المجتمع المصرى فى مختلف العصور (١) .

ومن هنا يتضح أن مدارس الأسكندرية قد عنيت بالعلوم والفنون المختلفة وأصبح أساتذتها علماء يهرع إليهم الطلاب من كافة أنحاء العالم للتتلمذ على أيديهم والأخذ من علومهم المختلفة . كما وضح أن أغلب علماء العصر البيزنطى تميزوا بدراسة أكثر من علم .

التعليم الحرفى والصناعات :

لقد كان التعليم الحرفى هو السائد بين المصريين والذى أسهم فى التعبير عن ذلك العصر وفنونه وأفكاره وهو التعليم الحرفى للعمل بالصناعات المختلفة ، هذا التعليم الذى كان فى الغالب متوارثا عن الآباء ويطلق عليه الفن السكندرى تمييزا لأبنائه المصريين ولأساليبهم الفنية والتى تجلت فى الصناعات وفى النحت وفى صناعة المنسوجات والحلى والزخرفة والسفن والتزيين والتصوير وصناعات الزجاج والفسيفساء والورق والأوانى وما إليها من صناعات وفنون عبرت عن الحضارات البطلمية والرومانية والقبطية وتفاعلها معا (٢) .

لقد كانت الحرف والصناعات فى مصر البيزنطية منتظمة فى نقابات رسمية تقوم كل نقابة بتسديد الضرائب عن أعضائها وكانت تنتقل العضوية فى النقابة من الأب إلى الابن وراثة وكان كل من يزاولون مهنة أو صنعة واحدة متشابهة يقومون بتأليف نقابة سواء من الرجال أو من النساء ، وكان لابد للحرفى أو الصانع أن يحصل على إجازة من النقابة تصرح له بمزاولة حرفته ، وكانت الدولة تسيطر على النقابات من الناحية القانونية حيث تقوم الدولة بإلزام النقابات بالضرائب وبعمل أعضائها وتقديم الصناع اللازمين لخدمة الدولة ، وقد استمر هذا النظام حتى عصر الولاة وإن كان قد اتخذ لفظ الطوائف بدلا عنه (٣) .

لقد احتكرت الدولة بعض الصناعات تماما كالنطرون والورق وتركزت الصناعات إما فى المصانع الحكومية كمصانع النسيج والصباغة أو بيد الأفراد وقد أقيمت لذلك مصانع

---

(١) أمين الخولى وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية (مرجع سابق) ، ص ص ٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، جـ١ ص ص ٩٢ : ١٠١ .

(٣) السيد طه أبو سديرة ، الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية ، القاهرة (١٩٩١) ، ص ص ٣٨١ ، ٣٨٢ / زبيدة محمد عطا ، الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية ، القاهرة (١٩٨٣) ، ص ص ٧٥ ، ٧٦ .

صغيرة فى القرى والدور الخاصة وقد اعتمدت غالبية هذه المصانع على الأحرار دون الرقيق ومن واقع عقود ملزمة للطرفين ومحددة لنوع العامل سواء كان أسطى أو عاملا تحت التدريب وقوائم أجور كل فئة (١) .

أما عن التدريب على مزاولة تلك الحرف ، فقد كانت مدته تختلف وكذا أسلوبه من حرفة لأخرى بل وداخل الحرفة الواحدة وإن تراوحت فى الغالب مابين سنة وخمس سنوات وكان يقوم بالتدريب أسطى فى تلك الحرفة وهو من ينظم للصبى أموره وطعامه وكسائه وأجره وكانت النقابة تحدد من سيتم تدريبهم أو يتولى كل أقليم تحديد عدد الحرفيين اللازمين لكل حرفة وهناك نقابات اشتملت على العديد من الطوائف كنقابة النساجين التى انقسمت إلى اثنتى عشرة طائفة (٢) .

أما عن المتدربين أو المتعلمين لتلك الحرف فأغلبهم أحرار كما أشرنا ، إلا أنه فى بعض الأحيان ، كان يتم تعليم بعض العبيد والإماء للحرف "وفى بردية عثر عليها أوضحت أن إحدى السيدات أرسلت جاريتها الصغيرة لتتعلم حرفة النسيج لمدة أربع سنوات (٣) .

أما عن طريقة التدريب فقد اتضح من العقود الخاصة بالتدريب أن العامل كان يتم تدريبه فى سن مبكرة وكان المسئول عنه أو ولى أمره هو من يتعاقد مع الأسطى ويتعهد باستمراره طوال فترة التعامل سواء كانت عام أو ثلاثه أو أربعة ، كما اختلفت تقدير قيمة أجره خلال العام وفى بعض العقود بلغ أجر عامل النسيج ثلاثمائة ألف دينار وقميص نظيف وفى بعض العقود اكتفى بتوفير الطعام والكساء (٤) .

وحين إتمام التعاقد يتولى أمر تدريب الصبى بواسطة الأسطى الملزم بجعله صانعا ماهرا، ويتم التدريب بأسلوب التلمذة الصناعية، بأن يزاول الصبى المهنة ويتدرب عليها إلى أن يجيدها ولم تكن تلك الصناعات تدون وإنما تنتقل أسرارها شفاهة من الأسطى إلى الصانع (٥) .

وبعد أن يتم العامل فترة تدريبه على يد الأسطى ، فيقوم الأسطى بإجازته ويصرح له

---

(١) زبيدة محمد عطا ، الحياة الاقتصادية (مرجع سابق) ، ص ٧٥ / مصطفى عبد الحميد العبادى وآخرون ، تاريخ مصر القديمة (مرجع سابق) ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٢) السيد طه أبو سديرة ، الحرف والصناعات فى مصر البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٣٨٧ / زبيدة محمد عطا ، المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٣) السيد طه أبو سديرة ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(٤) زبيدة محمد عطا ، المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) السيد طه أبو سديرة ، المرجع السابق ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

بالعمل فى تلك الحرفة وينضم إلى نقابتها ويصبح صانعا [١] .

لقد كان الناتج من هذا التنظيم للصناعة هو ما إلى الآن يبهر العالم من تحف وتماثيل ونسيج وزخارف ومشغولات لها طابع خاص يميزها ويميز المرحلة القبطية (٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن الطب كان يعتبر حرفة يتم التدريب عيله وكان يكفى لتزكية أى طبيب فى أى بلد أن يذكر أنه تعلم بالاسكندرية وتدرب على يد أطبائها ، كما كان للممرضات تدريب خاص (٣) .

إن العرض السابق قد ألقى بعض الضوء على مكانة مصر المتميزة فى الدولة الرومانية والبيزنطية من الناحية الإدارية والاقتصادية والثقافية والدينية حيث كانت حاضرة هذه الدولة وقبلة الأساتذة والطلاب والتجار وذاعت شهرة عاصمتها الاسكندرية فى الآفاق من حيث ثرائها ورقيها ولكن ذلك لايخفى البؤس والشقاء والاضطهاد الذى لاقاه الشعب المصرى بجميع أنواعه الدينى والاقتصادى مما جعله يتوق إلى التغيير ، كما ساعد على ظهور الشخصية المصرية القومية المتميزة الذى جعلته دائما نسيجا متميزا سواء فى العصر البيزنطى أو ما سيليه فى عصر الولاة الإسلامى كما سيظهره الفصل الثالث وهو أحوال مصر فى عصر الولاة.

---

(١) زبيدة محمد عطا ، الدولة البيزنطية (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

(٢) زبيدة محمد عطا ، نفس المرجع ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ص ٩٦ : ١٠٢ .